الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية: الأدب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها

مذكرة بعنوان

الاغتراب الروحي في الشعر الجزائري المترجم من الفرنسية إلى العربية

(ديوان "الشقاء في خطر" le malheur en danger لمالك حداد" أنموذجاً")

مذكرة نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- فاطمة الزهراء تاقي
- يمينة خالدي

إشراف الأستاذة:

د. كريمة صنباوي.

لجنة المناقشة

د. آمال بوخريص	استاذ بجامعة احمد دراية أدرار	رئيسا
د. كريمة صنباوي.	استاذ بجامعة احمد دراية أدرار	مشرفا
د.عبد الله كرومي	استاذ بجامعة احمد دراية أدرار	مناقشا

الموسم الجامعي: 1439-1440 هـ / 2018-2019 م

إهـــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا وما كنَّا له مقرنين وبعد الصَّلاةِ على المبعوثِ رحمة للعالمين.

اهدي ثمرة هذا الجهد إلى من ضاقت كلَّ معاني الوجود على توفيت حقهم:

إلى أناي الَّذي رحل عن الوجود وتركني أموج في دوّامة الإغتراب من بعده؛ أبي حبيبي،أقول له: إلَيْكَ يَا

مَنْ حَمَلْتَ عِبْئِيْ مِنْ صِغَرِيْ ***رَبَيْتَنِيْ مُسْلِمَاً وَحَمَلْتَ مِنْ عَارِيْ

مَهْمَاْ شَكَرْتُكَ لَا أُوْفِيْكَ مِقْدَارَاً***فِيْ نَفْسِيْ تَبْلَغُهُ فِيْ طَيِّ أَغْوَارِيْ

مَا مِنْ شِفَاْءٍ لِدَاْءِ الشَّوْقِ فِيْ كَبِدِيْ ***فَالحُزْنُ يَنْحَتُنِيْ وَالدَّمْعُ مَطَّارِيْ

أَدْعُوْ إِلَهِيَ رَبَ العَالَمِيْنَ بِأَنْ**** يَلُمَ أَشْتَاْتِي فِيْ دَاْرِ أَبْرَاْرِيْ

إلى أمي: إِلَيْكِ يَاْ دُرَّةً يَعُوْذُنِيْ حُبُهَاْ***تَرْوِيَنِنِيْ كَلَفَاً وَ الدِّفْءَ إِيْزَاْرِيْ

الوِّدُّ مِنْكِ سِنَاْناً مَآبُهَاْ صَدْرِيْ ****هَلَّاْ رَحَمْتِيْ ضَنَاْكِ فِيْ جَرِّ أَقْدَاْرِيْ

تُفْشِيْ المَوَاْجِعَ فِيْ صَدْرِي إِذَاْ رَمَقَتْ *** عَيْنَاْيَ يوماً تَبَيْنُ فَيْهِ أَقْمَاْرِيْ

عَذَلْتِنِيْ بِجَمِيْلِ الوَهْبِ وَالخُلُقِ *** يَرُوْقُوْنِيْ عَذْلُكِ وَأَنَّكِ جَاْرِيْ

إلى أخواتي: أَيَاْ خَلِيْلَاْتاً نُفِيْتُ عَنْ صَحْبِهِمْ**** فِيْ مِعْشَرِ وِدِّهِنْ تَهْتَزُ أَوْتَاْرِيْ

إلى من كانت بطلتها تلهمنا وبالنَّصائحِ تُرشدنا أستاذتي «كريمة صنباوي» وإلى من تعجز معاني الكون عن إبلاغه الشكر المستحق «سليمان».

إلى تلكم الرحمات التي خصني بها ربي؛ والتي تعبرني نزوات الشوق إليها وأنا في حضرتها؛ إخوتي محمد وحمزة وأيوب وعبد الرحمان، ولتلكم النَّسمات التي تدغدغ وجداني فيسر قلبي بلطائف بسماتهم و تأتآتهم أبناء أخواتي.

إلى المستضعفين في الأرض من المسلمين ولمن يحمل نوايا طيبة للإسلام والمسلمين

فـاطمـة الـزهـراء

إهداء

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

بأرقى عبارات الشكر أهدي ثمرت هذا الجهد لمن مهدوا لي طريق العلم

«والداي الكريمين» أطال الله بعمرهما

ومن كان لي سنداً ونعم العون «أخي العزيز»

وإلى من قاسمني رغد العيش حلوه ومره» أخواتي»

و إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة التي تبعث على التفاؤل براعم العائلة

« أسماء، محمد منير، إيمان، ياسين»

وكل من ضاقت السطور عن ذكرهم ووسعهم قلبي صديقاتي وعائلتي

وإلى صديقتي التي قاسمتني الجهد والعناء لإتمام هذه المذكرة «فاطمة الزهراء»

وأخص بالشكر من درسني وأشرف على مذكرتي الأستاذة» كريمة صنباوي»

و إلى رموز الشعب الجزائري الذين كافحوا من أجل أن تعيش الجزائر حرة ومستقلة

يمينة

الشكر والعرفان

نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين

وبعد؛

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في هذا الطور الجامعي من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين بذلواْ جهود جبارة في بناء جيل الغد ولتبعث الأمة من جديد.

وقبل المضي قدما نتقدم بأسمى آيات الشكر والإمتنان إلى التي تفضلت علينا بقبول الإشراف على مذكرتنا؛ الأستاذة «كريمة صنباوي»، وإلى من غمرنا بالنصح و الإرشاد الأستاذ «العلمي حدباوي»

وإلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

كما نتقدم بالشكر إلى شيوخنا الذين كونواْ منا لبنات أساسية في سبيل أمة الإسلام وهدونا سبل الرشاد,

كما لا ننسى معلمينا و أساتذتنا في كل الأطوار الدراسية.

مقدمة

مقدمة

يمرُّ الإِنسان في حياته بعدّةِ محطّات، غالباً ما تتخللها بعض الأزمات التي ألقت بظلالها على حياته النفسية والفكرية والجسدية؛ وقد شهد العالم حروباً طاحنة بين البشر دفعت بعض منهم إلى البحث عن سبل العيش بالإِستيلاء على غيرهم أو تضييع حقوق الآخرين؛ وفي ظل هذه الأزمات تمخضت ظاهرة الإِغتراب التي كان لها الأثر الأكبر على الأفراد المبدعين على وجه الخصوص وتجلى ذلك في أعمالهم ؛ولهذا فقد عنيت هذه الظاهرة بالدراسة من طرف العديد من الباحثين في الغرب وعند العرب.

والإِغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان، لكنَّها إِزدادت شيوعاً مع بداية القرن العشرين لكونه أكثر الفترات تدميراً في حياة البشرية ؛ إذ كانت الحروب في أوج تغلغلها في دمار الشعوب وإذلالها ، ولم تكن الجزائر بمنء عن كل ذلك فحرب فرنسا على الجزائر كانت الأبرز والأكثر دموية في هذا القرن إذ أثرت على الفرد الجزائري من جميع النواحي، ودامت لأكثر من قرن وربع، تجرع من خلالها الشعب الجزائري مرارة البؤس والحرمان؛ وعانى فيها من الإِغتراب بجميع أنواعه فمنهم من عاش هم الاغتراب عن وطنه وأجبر على النفي والغربة، ومنهم من عاش الاغتراب في داخل وطنه وهو من أقسى الأنواع ؛ ويسمى بالإِغتراب الرُّوحي الذي هو موضوع المذكرة التي نحن بصددها دراستها.

والتي سنسلط فيها الضوء على الشعراء الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية حيث وقع الاختيار على الأديب مالك حداد؛ الذي يعتبر من أكثر الشعراء الذين عانوا من مرارة الإِغتراب داخل وطنهم و الغربة خارجه ومأساة التعبير بغير لغة قومهم وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال دراسة ديوانه «الشقاء في خطر» .

ونحن بصدد دراسة هذا الموضوع ومجموعة القصائد هذه راودتنا عدَّة تساؤلات و استوقفتنا عدَّة إشكاليات، خاصة وأن الشَّاعر عاش في فترة الحرب التحريرية للجزائر التي كانت من أكثر الفترات التي كابد فيها شعراء الجزائر اغتراباً روحياً. و من بين هذه التساؤلات:

* إذا كان الدارسون اختلفوا حول تحديد مفهوم مصطلح هذه الظاهرة، ما هو مفهوم الاغتراب ؟ وما هي أسبابه؟

* إذا كانت ظاهرة الاغتراب الروحي مرتبطة أكثر بذات الإنسان الشعورية؛ فكيف تجلت هذه الظاهرة في الشعر الجزائري المكتوب بالعربية وحتى المكتوب بالفرنسية؟

* وإذا كان شعراء الجزائر عموماً والشعراء الذين يكتبون باللغة الفرنسية خصوصاً الأكثر تأثرا بالإغتراب إبان الفترة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر ،فكيف تجلى ذلك في ديوان «الشقاء في خطر» لمالك حداد؟ وما هي أهم الألفاظ الدالة عليه؟

أما عن الدَّافع وراء انتخابنا لهذا الموضوع؛ هو أننا وجدنا في أنفسنا ميْلاً لهذا الجنس الأدبي-الشعر- . وكذا لندرة الدراسات في موضوع الإغتراب الرَّوحي في ما تعلق منها بالشعر الجزائري رغم أن هذه الظاهرة بصفة عامة؛ أسالت الكثير من حبر الدارسين.

و أيضاً لقّلة الدراسات حول ظاهرة الاغتراب في الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي، ولكون الشعر منه لا يكاد يلتفت إليه على عكس الرواية التي عنيت بكلِّ الإهتمام من طرف الدارسين وحتى في المدرجات الجامعية؛ في محاولة منَّا إلى إلقاء الضوء على هذا النوع الأدبي المهمش.

فارتأينا أن نسقط فكرة الإغتراب الرّوحي على أشعار مالك حداد عسى أن نكشف غوامض مستترة تتخفى خلف إبداعه الشعري ؛فجاء عنوان بحثنا:» الاغتراب الروحي في الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية ديوان الشقاء في خطر لمالك حداد أنموذجاً».

أما عن الدِّراساتِ السابقةِ كما أسلفنا الذكر فإنها شحيحة حول موضوع الإغتراب بصفة عامة و الإغتراب الرُّوحي بصفة خاصة ونذكر على سبيل المثال مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة باتنة تحت عنوان الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث لصاحبها موسى كراد، أما في موضوع الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية بشموليته فلم نعثر على دراسة لهذا الموضوع ؛ إلا في بعض المجلات والجرائد التي اكتفت بنشر بعضاً من قصائد الشعراء والتعليق عليها بما يمليه العنوان المندرجة تحته.

ولم نعثر على مصادر أو المراجع مباشرة تتحدث عن الاغتراب الروحي في الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية؛مما دفعنا للاعتماد على بعض المجلات والجرائد الجزائرية مثل :مجلة الثقافة مجلة تعنى بالفكر والأدب، العدد1، والعربية مثل: الموقف العربي، العدد1 ومجلة شعر، وبعض الكتب منها: الأدب المكتوب باللغة الفرنسية لمحمود قاسم، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير لنور سليمان، ، تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

ولقد انتهجنا في هذه الدراسة خطة مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة؛ وقد وقفنا في المقدمة إلى موضوع ظاهرة الاغتراب بصفة عامة، والأسباب الرئيسة لاختيارنا لهذا الموضوع للدراسة، أما المدخل فكان عبارة عن لمحة وجيزة عن موضوع الاغتراب ، مفهومه وأسبابه ومظاهره، وفي الفصل الأول تتبعنا ظاهرة الاغتراب في

الشعر الجزائري المكتوب بالعربية وشرح بعض القصائد وتتبعنا فيها المفردات الدالة على الاغتراب ثم عرجنا إلى الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية بإطلالة نرصد من خلالها بعض مضامينه وكذلك مراحل نشوئه والبحث في فكرة كونه أدب غريب عن لغة قومه.

أما الفصل الثاني: فقدمنا فيه تعريفا للشاعر وأهم أعماله، ثم خصصنا جزءاً للتطبيق المنهجي على ديوان «الشقاء في خطر» وأبرزنا فيه أهم الألفاظ والمفردات الدالة على الاغتراب الروحي عند الشاعر مالك حداد، وخاتمة عبارة عن نتائج مستخلصة من دراستنا لهذا الموضوع.

واعتمدنا على المنهج الوصفي لدراسة هذه المذكرة، وذلك بتتبع الظواهر الجمالية الدالة على الاغتراب الروحي الشعراء الجزائريين مستعينين بالمنهج الإحصائي لإبراز أكثر الألفاظ استعمالاً في ديوان حداد هذا وتبيين دلالتها وعلاقتها بموضوع الاغتراب الروحي.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا والتي جعلتنا نقف في أحايين كثيرة عاجزين عن المواصلة من بينها: ارتباط الاغتراب الروحي بالفلسفة أكثر من الأدب، وكذلك قلة الدراسات المتناولة لموضوع الاغتراب الروحي خاصة، و قلة الكتب حول موضوع الاغتراب الروحي في الشعر الجزائري بصفة عامة وفي الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسي على وجه الخصوص، وكذلك عدم توفر الدواوين المترجمة أو حتى في لغتها الأصلية، دون أن ننسى طبيعة النص المترجم لأنه استوجب علينا بذل جهدين أولا البحث عن المعنى الأصلي للنص المترجم،وثانياً: محاولة لمس ذات الشاعر من خلال النص المترجم و البحث عن المعنى المراد الذي تنقله كلمات لغة مخالفة للغة النص الأصلية الدالة عليه والتطبيق عليه ، وغير ذلك فقد تيسر بعون الله، ويرجع الفضل أيضاً للأستاذة المشرفة « كريمة صنباوي» التي كانت لنا خير ناصح ؛كما لا ننسى صبرها وعملها الدؤوب لإخراج هذه المذكرة على أحسن وجه، كما نشكر الأستاذ «العلمي حدباوي « الذي وجهنا إلى بعض المراجع التي لها علاقة بموضوع الشعر الجزائري.

أدرار يوم الأحد 31مارس2019

مدخل

مفاهيمُ الاِغترابَ الروحَيَ و أهمُ ملامحه

- **الإطارُ المفاهيميَ للاِغترابِ الرَّوحيَ**
- **أسبابُ الاِغترابَ**
- **مظاهرُ الاِغترابَ**

مدخل: مفاهيمُ الإِغترابَ الرَّوحَيَ و أهمُ ملامحه

1/الإطار المفاهيمي للاغتراب الروحي:

- **الإِغترابُ الرَّوحَيَ لُغَةً:**

لقد اتسع الإطار المفاهيمي للفظة الإِغتراب، وتعدَّدت الدراسات التي حددها الدَّارسون له، ولعل هذا راجع إلى خاصية جوهرية للمصطلح كونه مصطلح فلسفي يتماهى مع أي مجال استعمل فيه، وتعود علة التعدد والإِتساع المفاهيمي له لتنوع مظاهره وإختلاف الأسباب المؤدية إليه.

ففي مفهومه اللغوي تنص المعاجم القديمة على أن أصل الكلمة هو (غرب) وأن الدلالة اللفظية له(الاغتراب) تأتي بمعنى الابتعاد والنزوح عن الوطن. فقد جاء في مختار الصحاح لمحمد الرازي (ت660هـ): « (الغربة الإِغتراب) تقول تَغَرّب وإغترب فهو غريبٌ وغُرُبٌ، والجمع (الغرباء). والغرباء أيضا الأباعد و(إغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه. وفي الحديث (إغتربوا لا تضووا)... والتّغريب النفي عن البلد. وأغرب جاء بشيءٍ غريب. وأغرب أيضاً صار غريباً[1] .

وجاء في لسان العرب: «غرب أي بعد، ويقال: أُغْرُب عني: أي تباعد؛ ومنه الحديث: أنه أمر بتغريب الزاني؛ التّغْرِيب: النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه. ويقال أغربته وغَرّبته إذا نحيته وأبعدته.

وغرّبت الكلاب أمعنت في طلب الصيد. وغرّبه وغرّب عليه: تركه بعداً. وتقول تغرّب واغترب، وقد غرُبَ الدهر، ورجلٌ غُرُب، بضم الغين والراء. وغريب: بعيد عن وطنه؛ الجمع غرباء»[2].

وحرص الفيروز أبادي (817هـ) على جمع المفردات المحيطة بمفهوم هذه اللفظة فقال:» الغَرْبُ: المغرب، والذّهاب، والتّنحّي، وأول الشيء وحدّه، والتمادي، والروية، والدلو العظيمة ... والنّوى والبعد، كالغَربة وقد تغرّب وبالضم النُّزُوح عن الوطن كالغربة والإِغتراب»[3].

فمفهوم الإِغتراب في هذه المعاجم يتخذ دلالة مكانية، أي أنه إِغتراب جغرافي متعلق بالمكان أو كلّ ما يتعلق بالابتعاد والتنحي.

---

[1].- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار العين، بيروت، لبنان، دط، دت، ص468

[2]- ينظر: لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله العلايلي، ويوسف الخياط، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، د ط، ج4/ 966.

[3]- القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق مكتبة التراث، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م. ص119.

- **الاِغترابُ الرَّوحَيَ فِيْ الاِصطلاح:**

ا/الاِغتراب:.

➢ **الاِغْتِرَابُ فِيْ مَعَاجِمِ المُصْطَلَحَاْتِ العَرَبَيَةِ:** الاِغتراب في مفهومه الاِصطلاحي حالة شعورية تستوطن ذات الإنسان وان كان لا يختلف كثيراً عن معناه اللغوي، ألا أنه اكتسب جانبه الروحي النفسي في المعاجم الحديثة. فهو كما يقول أحمد مختار»...و اغترب داخل وطنه أحس بالعزلة فيه، والمصدر الصناعي من اغترب: حالة من الإحساس بالاِضطراب الذهني تجعل الفرد يشعر بالغربة عن نفسه أو مجتمعه فيعيش حالة من الاِغترابية بين أهله»[1].

➢ **الاِغترابُ فِي الاِسْلامِ:** إن الدنيا دار فناء كما أنها دار غربة للإنسان، وهذا ما اتفقت عليه الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وأن الله-سبحانه وتعالى- أول ما خلق سيدنا آدم –عليه السلام- وأمنا حواء جعل موطنهما الجنة، إلا أن الشيطان أزلهما فأخرجهما مما كانا فيه من نعيم، ومنذ ذلك الحين وشعور الإنسان بالاِغترابِ متأصلٌ في ذاته؛ فهو دائما ما يتوقُ إلى الجنة، فهذه النفس المغتربة لا تطمئن ولا تنعم بالراحة والسكينة إلا إذا عادت إليه -وطنها الأول أي الجنة- قال تعالى: ﴿**يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[2].

وهناك صنف آخر من الاغتراب، فبعد حلول الإنسان في الدنيا (دار الملذات)، واِنفصاله عن عقيدته وأخلاقه سعيا منه وراء الشهوات وارتكابه للآثام، فإنه وجد نفسه في صراع داخلي، واِغتراب روحي لا ينفك منه إلا إذا سعى إلى تحقيق القيم الروحية.

وفي كتب الحديث وردت لفظة الغربة في حديث النبي –عليه الصلاة والسلام- «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها»[3].

يخبرنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث عن غربة الإسلام في آخر الزمان، إذ أنه بعد انطلاقته في الانتشار من مكة والمدينة المنورة ليشمل ربوع العالم ثم يعود أدراجه إلى المكان الذي بعث منه. وقوله –

[1]- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ- 2008م، ص3541.

[2]- سورة الفجر، الآية(27-28-29-30).

[3]- شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر، ط5، 2014م، 2/ 121.

صلوات الله عليه- «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».، وفي معنى آخر: »الغريب كل شيء فيما بين جنسه عديم النظير فهو غريب «[1].

وفي التصوف الإسلامي: «الغربة تنطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصود، ويقال غربة على الحال من حقيقة النفوذ، وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة. أما غربته عن الأوطان في مفارقتهم إياها وهو لما عندهم من الركون إلى المألوفات فيحجبهم ذلك عن مقصودهم الذي طلبوه بالتوبة التي أعطتهم اليقظة «[2].

فالاغتراب في المعاجم الصوفية ارتبط بمفارقة الأوطان. وكذلك الغربة عن الحق أي الضلال، والتيه عن الطريق السوي، وغربة عن الأحوال والصفات، وهذا أهم ما تميز به المتصوفة، فهو اغتراب وجداني يدفع بصاحبه إلى العزلة، قاصداً بذلك مناجاة الله، عازفا عن الدنيا وما أنعمت به، طالبا رضى الله والامتثال في حضرته، وتبدأ رحلة اغتراب الإنسان عند المتصوفة منذ مفارقته لرحم أمه.

➢ الِاغترابُ فِيْ المَعَاْجِمِ الغَرْبَيَةِ:

إن الباحث في «إالجذور الأولى للاغتراب في الفلسفة الغربية يجدها تعود إلى جذور يونانية أسبق لما جاء به (هيجل)[3] الملقب بأبي الاغتراب، و(ماركس) [4].

وقد ظهر ذلك في كتاب العالم الأنثربولوجي (لويس مورغان)[5]MORGAN; LEWIS في القرن التاسع عشر تحت عنوان (المجتمع القديم) SOCIETY ANCIENT وهو الكتاب الذي اعتمد عليه إنجلز وماركس اعتمادا كبيرا في ما بعد».[6]

---

[1]- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبي البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، 1418هـ-1997م، ص663

[2]- معجم مصطلحات التصوف الإسلامي: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999م، ص690.

[3]- جورج وليهيم فريدريك هيجل (1770-1831) فيلسوف ألماني من مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة.

[4]- كارل ماركس (1818- 1883) فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، واشتراكي ثوري.

[5]-لويس مورغان (1754- 1844) محامي وسياسي وقائد عسكري أمريكي، أحد الموقعين على الاستقلال الأمريكي.

[6]- تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور: متقدم الجابري، مجلة الأثر، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد4، مايو 2005م، ص84.

وتعد (نظرية العقد الاجتماعي)[1] المصدر الفلسفي الرئيسي، الذي استخدم مفهوم الاغتراب، «فقد عبر فلاسفة العقد الاجتماعي (هوبز HOBBES، لوك LOCKE، روسو ROUSSEE) في هذا الاغتراب بعملية التعاقد التي تحدث بين الأفراد والحاكم، حيث يتنازل الأفراد عن بعض حقوقهم الطبيعية كالخضوع للسلطة أو الجماعة السياسة مقابل حصولهم على النظام والأمن والمساواة. كما كان حاصلا في المجتمع الإقطاعي»[2].

فنظرية العقد الاجتماعي في جوهرها قائمة على الاغتراب، لكنه اغتراب طوعي يختاره الفرد لأن فيه حفظا لحقوق لا غنى للإنسان عنها، بل لا حياة له في غيابها.

جان جاك روسو JAN JAK ROUSSEAU) من عالج موضوع الاغتراب بعمق تحليل واستشهاد. مقارنة بتحليلات (جون لوك وهوبز حيث ربط –الاغتراب– بالثورة الصناعية واغتراب الإنسان عن الطبيعة كحتمية ناتجة عن هذه الثورة، واتخذ باريس كنموذج مكتفيا بها عن غيرها من المجتمعات الصناعية الحديثة وأبرز من خلالها هذا الاغتراب، وهذا ما سنتعرض إليه في أنواع الاغتراب.

وقد «فرق روسو بين نوعين من الاغتراب :

✓ **اِغترابٌ قسريٌ**: ظهر في الزمن الإقطاعي مع غياب النظام المدني.

✓ **اِغْتِرَاْبٌ طوعيٌ**: في حضور نظام «العقد الاِجتماعي» في المجتمع الحديث، ويختاره الفرد بمحض إرادته، ويعد ضرورة للحفاظ على أمر المجتمع، ويشير في كتابه (العقد الاجتماعيSOCIAL CONTRACT – 1762م)؛ إلى أن الإنسان بموجب هذا العقد سيفقد حريته الطبيعية، لكنه في المقابل سيكسب حرية مدنية مقيدة بالإرادة العامة، ومساواة في الملكية بموجب صك إيجابي».[3]

فيرى روسو أن هذه المدنية التي تقود الإنسان إلى العبودية تصيبه بحالة من الاغتراب الذاتي حينما يُسلّم أمره للمجتمع وما يحكمه، فيضطر إلى اصطناع شخصية تمكنه من التكيف مع وضعه الراهن.

[1] –نظرية العقد الاجتماعي: هو نظرية أو نموذج تبلور في عصر التنوير، ويهتم عادة بشرعية سلطة الدولة على الأفراد، ويخضعوا لسلطة الحاكم (أو لقرار الأغلبية) لقاء حماية بقية حقوقهم.

[2] – ينظر: الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية: أميرة علي عبد الله الزهراني، جامعة الملك سعود –كلية الآداب، المملكة العربية السعودية، 2005، ص17.

[3] –ينظر: المرجع نفسه ، ص18.

ومن هنا فإن ما طرحه هؤلاء لفلاسفة هو اغتراب سياسي حيث اعتمدوا في تحليلاتهم على نقطتين رئيسيتين هما: الوطن، والسلطة. ثم بعد ذلك المجتمع؛ وقد اتسعت دائرة التحليل عند روسو لتشمل الثورة الصناعية وما انجرّ عنها، والتوصل إلى هذه الحداثة التي وصل إليها العالم والتي نعيشها، وسلطة المجتمع تدفع بالفرد إلى اغتراب ذاتـي.

أما أصحاب المثالية الألمانية أمثال (نيتشه) فقد كانت معالجتهم لقضية الاغتراب منصبة على دراسة التناقضات بين العقل و الموجودات والخارج، ومدى سيطرة الأول على الثاني، وهناك من جعل لها تأويلا سلبيا هو (كانط)، وأما (شيلر) فجعلها إحدى ثمار الاغتراب، فاستقلالهما عن بعضهما البعض يمنح كينونة خاصة لهذا الإنسان حيث يحقق وحدته مع ذاته، وتحثه على تحقيق التوازن بين العقل والعالم الحسي.

«ففكرة شيلر SCHILLER (1759-1805م) هي أن كل إنسان يحتوي على عنصرين هما العقل والطبيعة (العالم الحسي)، وهناك صراع حاسم بين هذين العنصرين، ولكي يحقق الإنسان وحدته ويقاوم الاغتراب عليه أن يعمل على تناسق هذين العنصرين».[1]

واتخذ هيجل منحى مغايرا غير الذي عُرف عند سابقيه، وخالف روسو في ذلك، فهو في رأيه: «يفيد عملية تحول الإنسان من شخصية أبسط إلى شخصية أغنى، بمعنى أن العقل المطلق قد خلق الطبيعة والإنسان، فطرح جزءا من نفسه، وصار هو نفسه هذا الجزءَ من خلال سيطرة العقل المتناهي الذي هو الإنسان على الطبيعة، وليس التاريخ إلا محاولة الإنسان الدائبة لمعرفة الطبيعة والسيطرة عليها».[2]

أما في مدرسة التحليل النفسي فيعود إلى اللاشعور، حيث يعتبر اللاوعي هو نظرية الاغتراب التي تؤسس اغتراب الشخص المريض منذ مراحله الأولى من عمره، وينجم عنها من الاعتكاف والانطواء وما يترتب من جرائه من أزمات نفسية وحالات مرضية.

ب) تَعريفُ الرَوْحَ:

لغةً:تكاد تجمع المعاجم على نفس التعريف للروح، وأن المصدر منه هو الروح. ففي مختار الصحاح جاء كما يلي:

[1]- الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية: مرجع سابق، ،ص19.

[2]- الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي: محمد الهادي بوطارن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، دط، دت، ص30.

«روح (الرّوح): يذكر ويؤنث، والجمع (الأرواح)، ويسمى القرآن وعيسى وجبريل –عليهما السلام– روحاً. والنسبة إلى الملائكة، والحبّ (روحاني)، والجمع روحانيون. كذلك كل شيء فيه روح روحاني».[1]

والشيء الرّوحيّ عكسه الشيء الماديّ الملموس، فالرّوح من الرّيح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء والجمع أرواح. فالريح ياؤها واو، صُيّرت ياء لانكسار ما قبلها، وتصغيرها رويحة...والريح من روح الله،أي من رحمته بعباده. والروح: برد نسيم الرّيح. وقال الله تعالى: «**فروحٌ وريحان**»، بمعنى استراحة وبرد، والرَّوح أيضا:السرور والفرح، والرُّوح بالضم، النّفخ، سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح.»[2]

اِصطلاحاً:

الرّوحُ عبارة عن مصطلح ذو طابع ديني وفلسفي يختلف تعريفه وتحديد ماهيته، ولكن هناك إجماع على أن الروح عبارة عن ذات قائمة برأسها، ذات طبيعة معنوية غير ملموسة، ويعتبرها البعض مادة أثيرية أصلية من الخصائص الفردية للكائنات الحية.

وهناك جدل في الديانات والفلسفات المختلفة حول الروح (تعريفها منشأها، ووظيفتها)[3]. ونحن المسلمون نؤمن بقوله جل في علاه: ﴿**ويسألونك عن الرّوح قل الرّوح من امر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[4].

وقد نزلت هذه الآية على الرسول –صلى الله عليه وسلم– في المدينة وهو متكئ على عسيب برفقة أحد أصحابه عندما مرّ عليه رهط من اليهود فقال بعضهم لبعض: اسألوه عن الروح. وقال بعضهم الآخر: لا تسألوه. وعند سؤالهم له أجابهم بهذه الآية. والاعتقاد الشائع أن للروح استقلاليتها التامة عن الجسد، وليس لها مظهر جسدي أو حسي.

والرَّوْحُ في الفلسفة هي: «الحقيقة المفكرة، والذات التي تتصور الأشياء مقابل الموضوع المتصور، ويقال المادة MATIERE ET ESPRIT كما يقال الجسد ESPRIT ET CORPS. وتسمى الذهن

[1] – – مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص261.

[2] – ينظر: لسان العرب، ابن منظور، قدم له عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، 1408هـ، 1988م، 4/ 1765، 1766.

[3] - ينظر: المعجم الفلسفي: مصطفى حسيبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، ط1، 2009م، ص238.

[4] –سورة الإسراء: الآية(85).

أيضا وهو قدرة معدّة لاكتساب العلم. يقول عبد القاهر الجرجاني: « الذهن هو الاستعداد التام لإدراك العلوم و المعارف بالفكر»[1].

2-أَسبابُ الاِغترابَ:

ومن الأسباب التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة هو ما تعلق بالإنسان نفسه، فهو يعتبر الدافع الرئيسي لاغترابه وتنقسم هذه الأسباب إلى:

*الأَسبابُ الاِجتماعيَةَ:

يعد الإنسان فرد من المجتمع يتأثر ويؤثر فيه، وذلك فإنه مجبر بعض الأحيان بتقبل الأوضاع المحيطة به، مثل العادات والتقاليد والأعراف التي يسير عليها، وإن رفضها فإنه سيعيش حياة العزلة التي يختارها، أو تفرض عليه من قبل المجتمع «والعزلة هي ظاهرة اجتماعية تفرض الشعور بالذات الاجتماعية الأخرى وأن أكثر أشكال العزلة تطرفا وكآبة هو ما نعانيه وسط المجتمع»[2] .

وبذلك فإن الإنسان إذا تعرض للعزلة فإنه سيصبح فيه غريبا ويفقد هويته وهذا تابع من الضغوطات التي يفرضها المجتمع.

*الأَسبابُ الدينيَةَ:

الدين من أكثر الجوانب ارتباطا بالإنسان خاصة من جانبه الروحي وعند أداء معتقداته يحس بالطمأنينة والسكينة، وحين يكون في وطن يمارس فيه معتقداته بكل حرية، وعند يحس الإنسان بالاغتراب دينيا غالبا عندما يتعلق بما يعانيه الشعوب التي تحت الاستعمار الذي طالما كان هدفه الأول مسح هويته المتعلقة بالدين واللغة والثقافة ، وهذا ما يعانيه الجاليات الإسلامية في بعض الدول الأجنبية، والأقليات المسلمة في بورما وفي بعض دول شرق آسيا.

*الأَسبابُ السياسيَةَ:

إن الأسس التي يبنى عليها كل مجتمع يجب أن تكون من خلال التسيير الجيد لموارده وثرواته، وأن يعيش الإنسان فيه حياة تضمن له حقوقه وواجباته، وبذلك يجب على كل فرد من هذا المجتمع أن يساهم في بناءه، وكل

---

[1]-- المعجم الفلسفي: إبراهيم مدكور، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، ص93.

[2]- نصوص فلسفية العزلة والمجتمع: نيقولاي برديائف، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مراجعة علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م،ص95.

هذا بوجود سلطة أو حكومة أمينة تسهر على أمن وازدهار الوطن، وإن كانت هذه السلطة فاسدة فستتهدم كل القيم والمبادئ التي يسعى إليها كل فرد؛

والاغتراب السياسي يأتي دائما على الفئة المثقفة من المجتمع من سياسيين وصحفيين وأدباء وغيرهم الكثير، لأنهم من أكثر المعارضين لسياسة الدولة من خلال مقالاتهم أو أشعارهم أو كتبه المختلفة، وبذلك تفرض عليهم السلطة الصمت إما بالنفي أو السجن أو الإقامة الجبيرة «وبذلك لا تصبح لديه القدرة على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسي، وكذلك يغيب عن المعاير التي تشكل النظام السياسي»[1]، وبواسطة كل هذه المعاملات التي تنجر عليها قمع لذات الإنسان ونفيه من المجتمع بعدما كان يؤثر ويتأثر به.

*الأسباب الحضارية:

ازدهرت الحضارات عندما وجد الإنسان العوامل المناسبة لبنائها، لكن تمر هذه الحضارة لمراحل تسقط وتبعث حضارة أخرى على أنقاض هذه الأخيرة، ودائما يكون لأي حضارة جانب سلبي وجانب ايجابي الذي يؤثر على استقرارها، وجانبها السلبي ناتج عن غياب المساواة الحرية فتكبل الإنسان ومحاصرته من كل الجوانب.

3- مظاهرُ الِاغترابَ:

ظاهرة الاغتراب بوجه عام هي ظاهرة نفسية وبذلك فإن أغلب الدراسات كانت على نفسية الإنسان المتأزمة من عالمه الذي قام برفضه أو اختيار منفاه بعيدا عن مجتمعه، وقد تعددت مظاهر الِاغتراب منها:

أولا: اللامعنى (MEANINGLESSNESS): هو شعور المرء بأنه يتوقع نتائج مستقبلية، لكن الحياة الواقعية تخلو من هذه الأهداف، فيشعر المرء بأنه لا يوجد قيمة أو معنى في هذه الحياة. «وبوجه عام يرى الفرد المغترب وفقا لمفهوم اللامعنى أن الحياة لا معنى لها لكونها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، وبالتالي يفقد واقعيته ويحيا اللامبالاة»[2].

ثانيا: اللامعيارية(NORMLESSNESS)(الأنوميا)[3]: عرفها (سيمان): بكونها «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة اتجاه أي أهداف محددة،

[1]- الاغتراب و التطرف نحو العنف: محمد حضر عبد المختار، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة-مصر،دط،دس،ص35.

[2]- سيكولوجية الاغتراب: خليفة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003، ص36.

[3]- الأنوميا: كلمة إغريقية الأصل تعني انعدام القانون، وانعدام الثقة، وحالة البلبلة والشك التي يسببها غياب سلطة القانون.

أي أن الأشياء لم يعد لها أي ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا، وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة شرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير والقواعد وقوانين المجتمع».[1]

ثالثا: العجز(POWERLESSNESS): هو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن كبت تصرفاته وأفعاله، لكنه لا يستطيع أن يقرر مصيره حيث يعجز عن تحقيق ذاته، ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع، والعجز وفقدان القدرة، هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم، وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ومنه يتولد لدينا شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغير[2].

وهناك أوجه أخرى يتمظهر فيها الاغتراب نحو العزلة الاجتماعية التي تعني شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والتمرد.

لقد حاولنا من خلال هذا المدخل معرفة ظاهرة الاغتراب بصفة عامة، وإبراز المفاهيم اللغوية لمصطلح الاغتراب في المعاجم العربية القديمة والمعاصرة، ومعرفة المفاهيم الاصطلاحية من خلال إلقاء الضوء على أهم الكتب عند العرب والغرب، وبما أن ظاهرة الاغتراب الروحي مرتبطة أكثر بالفلسفة، والعلوم الإنسانية الأخرى فقد حاولنا تتبع المصطلح عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع، و معرفة أهم الأسباب المؤدية لهذه الظاهرة؛ والمظاهر الدالة على الاغتراب في المجتمع.

[1]- سيكولوجية الاغتراب: خليفة عبد اللطيف، ص38.

[2]- المرجع نفسه، ص37.

الفصل الأول:
الإغتراب الروحي في الشعر الجزائري

- **أ- الإغترابُ في الشّعرِ الجزائرِي المكتوبَ بالعربيةِ:**
  - ✓ **في الشّعرِ الجزائرَيَ القديمَ**
  - ✓ **في الشعرِ الجزائريَ الحديثَ**
  - ✓ **في الشعرِ الجزائريَ المعاصرَ**
- **ب- الإغترابُ في الشّعرِ الجزائرِي المكتوبَ بالفرنسيةِ**
  - ✓ مراحل نشأة الشّعر الجزائري المكتوب بالفرنسية
  - ✓ مضامينه
  - ✓ غربة الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية وإغتراب أصحابه

الفصل الأول: الاغتراب في الشعر الجزائري.

إنّ المتتبعَ لتاريخ الأدب الجزائري – العربي– يجده يعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا ومرتبط بأولئك العرب الذين حاولوا نشر الدين فبدءوا بتلقين القرآن وشرح السنة النبوية؛ وهذا ما اضطرهم إلى تعليم العربية أولاً.

لقد كان للفتح الإسلامي دور هام في انفتاح دول شمال إفريقيا على الحضارات الأخرى، ومع انه تمكن الفاتحين من نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة إلا أن الأدب لم يظهر في القرن الأول من الفتح بسبب انشغالهم بتعليم اللغة العربية وأصول الدين، وبعد ما استقى سكان شمال إفريقيا العلوم وانهالوا من الثقافة العربية؛ أسسوا دول عدة عرفت تطور وحضارة حيث «ازدهر المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية فكثرت المدارس و انفتحت العلوم والفنون وقصد الناس حواضر الجزائر يغترفون منها ماشاءوا من وجوه الحضارة والثقافة «[1] كما عرفت كل دولة حكمت الجزائر ظهور علماء وأدباء وشعراء أضافوا للمكتبة كم زاخر من المصادر والدواوين، لكن عدم استقرارها على دولة واحدة وتعدد الحكام ؛أدت إلى عدم استقرار العلوم بصفة عامة «و كان لهذه الاضطرابات السياسية وسوء الأحوال الاقتصادية عاقبة وخيمة على الحياة الثقافية»[2] واستمر هذا الوضع إلى آخر دولة حكمت الجزائر وهي الدولة العثمانية، لتدخل الجزائر فصلاً آخر بدخول الاستعمار الفرنسي الذي دمر كيان المجتمع الجزائري بكل مقوماته.

ظاهرة الاغتراب في الأدب الجزائري ليس وليدة فترة زمنية ما بل هي ملازمة للإنسان في كل عصر، فهي ناتجة عن ظروف سياسية أو اجتماعية أو حضارية أخلت بصيرورة الحياة الطبيعية للإنسان،، «والواقع أن الحديث عن الأدب الجزائري يشبه لحد كبير الحديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئاته الوطنية. فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف و المشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي»[3] فأصبحت هذه الظروف قاساً مشتركاً بينهم.

وكان الشعر الأكثر ضرر لأنه مرتبط بوجدان الفرد؛ فالإنسان يتأثر بما حوله من أزمات ومحن؛ فينتج عنده ما يعرف بالاغتراب فهو «أن يفقد الفرد القدرة على تحقيق مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها

---

[1]–تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس): عمر فروخ، دار العلم للملاين، ط2،بيروت–لبنان، ج4، 1984م، ص54.

[2]– تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، ج1، 1998م،ص41.

[3]–. دراسات في الأدب الجزائري الحديث :أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، ط5، 2007، ص21.

تلك التي تهمه وتسهم في تحقيق ذاته و طموحه»[1]، وسيكون لنا وقفة مع كل محطة عند ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري من خلال ثلاث محطات:

أولا: الاغتراب في الشعر الجزائري المكتوب بالعربية:

1/الشعر الجزائري القديم:

عند الرجوع إلى الموروث الشعري الجزائري القديم فإننا نجد بعض الأقلام الشعرية الرائدة في كل عصر من عصور الدول التي توالت على الجزائر؛ بدأً بالفتوحات الإسلامية حتى عصر الدولة العثمانية التي كانت آخر دولة حكمت الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي، وبالنظر إلى تاريخ حكم هذه الدول فإننا نجدها توالت على ملوك العباسيين و الأندلسيين والأمازيغ، وكان الشعر ينم عن ملكة اللغة العربية في المنطقة ومدى انتشارها.

لكن كما أوجزنا في السابق , فإن الجزائر عاشت في كل فترة اضطرابات في الحياة السياسية، فانعكس على الشعر بصفة خاصة فكان من الشعراء إلا أن يقفوا في أشعارهم عند الوضع الذي آلت إليه بلدانهم، فكان الاغتراب ملازماً للإنسان كل زمان ومكان، فمن البديهي أن يبتعد الفرد عن أهله ووطنه لطلب العلم أو المعيشة، أو مجبراً بسبب الحروب والنفي؛ «فالإنسان يرتبط بأرضه ارتباطا قويا، ماديا ومعنويا، ويحن إليها في حالة غربته عنها مكانيا »[2] هذا بالنسبة للاغتراب المكاني، أما الاغتراب الروحي هو أن يعيش الفرد في وطنه لكنه لا يستطيع التأقلم مع واقعه، أو عدم تقبل العادات وتقاليد مجتمعه وعدم التوافق بين أفراده، وبذلك يتولد الشعور بعدم الانتماء للذات والمجتمع والوطن «فيحاول الفرد من خلالها أن يجد منفذا للفرار من خلال الحنين إلى عالم مجهول، قد عاشت نفسه اغترابا في واقعها فحاولت الانتقال إلى عوالم أخرى»[3]، و الشعراء كانوا الأكثر تأثرا بهذه الظاهرة فانعكست على ذواتهم فتولد عنها ذات شاعرة تسعى إلى تغير الواقع بالهروب منه أو إصلاحه. و بذلك تولد هذا الحس الاغترابي منذ القدم بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها، والحنين والشوق إلى الماضي السعيد، أو الاغتراب عن المجتمع بسبب اللون أو العرق. ويتباين الإحساس بالاغتراب من شخص إلى آخر.

---

[1] –الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الانسان بين الحلم والواقع): حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006م،ص37.

[2] – الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، فريد أمعضشو، الطبعة الأولى، 1436هـ، 2015م، ص38.

[3] – الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945–1962):عمر بوقرورة، منشورات جامعة باتنة، دط،دت، ص58.

و الشعر الجزائري القديم غالباً ما ارتبط بنكبة المدن وزوال الممالك وموت الأحبة؛ فكان الشعر الغالب على هذه الفترة شعر التصوف الذي يعتبر هذا الاغتراب ايجابياً فهو الابتعاد «عن الحياة الاجتماعية الزائفة والجارفة، واغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل»[1].

يسوقُنا المقامُ إلى التّمثيل ببعض الأشعار التي قيلت في تلك الفترة؛ فنجد مثلاً سعد بن أشكل التيهرتي؛ الذي نأىَ به الدَّهرِ إلى دار غربة يرى كلَّ ما فيها قبيح، فيقول وهو» يتشوق إلى مدينة تيهرت مسقط رأسه ويهجو مدينة تنس دار وفاته:

وَأَصْبَحْتُ عَنْ تِيْهَرْتِ فِيْ دَارِ غُرْبَةٍ وَأَسْلَمَنِي مُرُ الْقَضَاءُ مِنَ الْقَدَرِ»[2]

وكان الشعوره بالغربة حالة قد يعيشها كل تيهرتي بعيد عن بلده التي كانت جنّة من جنّات الأرض في ذلك الزمان فما كان لشاعر إلا قافيته يفرّغ فيها ما يجثم على قلبه من ألآم»لأنّ حقيقة انّفصاله لا يمكن قلبها، إنّها هرب من موقف لا يطاق يجعل الحياة مستّحيلة إذا ما استطالت...ومن ثمّ فهو ليس حلاً يفضي إلى السّعادة «[3].فكانت غربتُه أبديةً ولم يفك أَسْرَ ذلك قلب المثوّق بحب بلده إلا الموت.

ونجد كذلك الشيخ أبو علي حسن بن الفكون . أول القرن السابع الهجري . يسترجع ذكرياته لأيام خوالي عاشها برفقة أصحابه بعد أن سطا الحزن على قلبه، وشعوره بالغربة عن مكان لطالما كان مرتعه وروضةأنسه

''و يُضْحِكُنا طَوْلُ الْوِصَا وَرُبَّمَا يَمُرُ عَلَىْ الْأَوْهَامِ ذِكْرَ التَّفَرُق

فَتَضْحَى مَوصُونَاتُ الدُّمُوعَ هَدَّالَةً وَنَحْنُ عَلَىْ طَرْفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَقِ

لِمِثْلِهِمَا مِنْ مَنْزِعٍ وَنَزَاهَةٍ يَجُرِّرُ ذِيْلَ الذَّيْلِ كُلَّ مُوَفَّقِ

فَلِلَهِ سَاْعَاتٍ مَضَيَّنَ صَوَالِحاً عَلِيهِنَّ مِنْ زَيِّ الصِّبَا أَيَ رَوْنَقِ''[4]

في هذه النُّتفة نلمس معاني الاغتراب واضحة كالتيه في الذكريات ومحاولة استرجاعها والعيش في كنفها، ولا يجد الشاعر بُدّاً من التعبير عنها.

[1] – الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، فريد أمعضشو، ص13.

[2] الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي، دط، ج2 ،ص78

[3] الخوف من الحرية:إيريك فروم، ت مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، تشرين الثاني 1972م،ص116

[4] عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ابو العباس الغبريني، تح عادل نويهض، ط2، دار الافاق، بيروت، ابريل 1979م، ص 336335

وغير بعيدين عن ابن الفكون نجد محمد الاريسي الجزائري الذي يقال عنه انه عاصره، يقول في قصيدة يحن فيها إلى ارض الحجاز:

''أُدَارِهَا فَقَدْ هَبَّتْ نُسَيمَةُ دَارِينِ وَنَمْ بِسِرِّ الرَّوْضِ نَشْرِ الرَّيَاْحِيْنِ

وَقَاْمَ خَطِيْبُ الوَرْقِ يَدْعَوُ هُزَيْلَهُ وَغَنَّى فَأَغْنَى عَنْ صُرُوبِ التَّلَاْحِينِ

وَذِكْرُ أَيَّامُ الْصَّبَاْبَةُ وَالصَّبَاْ وَلَذَّةُ عَيْشٍ كَاْنَ لَيْ غَيْرُ مَمْنُوْنِ

فَثَاْرَ كَمِيْنُ الْوَجْدَ مِنْ مُسْتَقَرِهِ وَبُحْتُ بِسِرِ جَنْبَيَ مَخْزُونِ

فَيَاْ سَاْكِنَي نَجْدٍ أَأَطْرُقُ حَيُّكُمْ وَأَرْجِعُ مَغْلُوْباً بِصَفْقَةِ مَغْبُوْنٍ''[1]

فالشاعر يقاسي البعاد لكن ما بيده حيلة غير هذه القوافي وهذه الكلمات يسكب فيها من معاني الوجد ويرسلها في حلة تليق بما يهوى.

أما عمارة بن يحي بن عمارة، فنجده يحاول ترجمة الألم الدفين الذي يعتريه ويحكي ذلك في قصيدة قالها هو بين أسوار سجن الموحدين، يقول فيها:

« بَدَاْ لِيْ أَنَّ الْلَيْلَ أَوْرَىْ زِنَاْدَهُ وَلَاْ نَاْرْ إِلَّاْ نُوْرَ بَرْقٌ لَهُ يَسْرِي

وَنَاْرٌ بِأَكْبَاْدَيْ أُكَبِاْدُ حَرَّهَاْ وَقَلْبٌ سَلِيْمٌ قَلْبُ فِيْ لَظَىْ جَمْرِ

وَمَاْ طَاْرَ فَوْقَ الْغُصُوْنِ مُسْرِحاً كَمَنْ بَاْتَ مَقْصُوْصٌ الْجَنَاْحَ فِيْ وَتَرِ

فَلَمْ أَنْسَ تَوْدِيْعُ الْبَنِيْنَ مُصَفَّدَاً وَأَصْغَرُهُمْ يَجْرِيْ وَأَدْمُعُهُ تَجْرِيْ»[2]

فهنا الشَّاعر يروي اغترابه عن بنيه وحزنه العميق عن ما آل إليه، ولعل سجن الهوى أقسَّى من سجن الموحدين.

ويقول:أبو حمو موسى- منتصف ق8هـ-:

«تَذَكَّرْتُ أَطْلَاْلَ الرُبُوْعِ الْطَوَاْسِمُ وَمَاْ قَدْ مَضَىْ مِنْ عَهْدِهَاْ الْمُتَقَادِّمَ

وَقَفْتُ بِهَاْ مِنْ بَعَيْدٍ أُنَيْسِهاْ بِصَبْرٍ مُنَاْفِ أَوْ بِشَوْقٍ مُلَاْزِمْ

وَأَهِيْمُ بِمَغَاْنِهِمْ وَأَنْدُبُ رَبْعَهُمْ وَأَيْ فُؤَاْدٍ بَعْدَهُمْ غَيْرَ هَاْئِمِ»[3]

[1]- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ابو العباس الغبريني، ص338.337

[2]- تاريخ الادب الجزائري، محمد طمار، دط،وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص85

[3]-المرجع نفسه، ص165

فرسم الديار يوقض الأشجان الكامنة في سر الشاعر، وتعود به إلى زمن تقادم عهده يلازمه الشوق إليه بقلب يستعصي عليه الصبر وهو أسير الهيام.

وما تجدر الاشارة إليه هو ان الشعر الجزائري القديم لا نجده ينطوي على الاغتراب الروحي؛ إذ لا نقع فيه على ألفاظ صريحة دالة عليه إلا في بعض المقاطع الصوفية؛ لكن يمكن أن نتحسس بعض المعاني الدالة عليه.

في المقابل نجد أن الشعراء قد كتبوا عن الغربة هذه اللفظة التي تبدو قريبة لمعنى الاغتراب، لكنها مختلفة عنه.

2/الشِعْرُ الجَزَائِرِيَ الحَدَيْثَ:

اعتبر الشعر منذ القدم مرآة الأمم الخالدة ورسالة التعبير الإنساني النبيل؛ وسلاحاً فتاكا في تغير مصير الشعوب، وكانت بداية الشعر الجزائري الحديث نتيجة لصراعات وأزمات مر بها المجتمع الجزائري خلال الاستعمار الفرنسي، كان هذا الاستعمار من أعنف القوى في القرن التاسع عشر فقد كان هدفه الأول القضاء على الهوية الوطنية وتهديم قيم المجتمع، لكن مقاومة الشعب الجزائر كانت له بالمرصاد، فلم تكن المقاومة عسكرية فقط بل كانت فكرية من أجل التصدي لكل محاولات الاستعمار الفرنسي لهدم الهوية الجزائرية فكانت حركات الإصلاح بارزة في تلك الفترة؛ لعل أبرزها الجمعيات والزوايا التي أخرجت علماء وأدباء من خيرة أبناء الجزائر، وكان أبرزهم الأمير عبد القادر(1807-1883م) مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، الذي زخر شعره بحب الوطن«فهو بطل الجزائر وأن كان من أرباب السيف، فقد كان أخا القلم، لا يغمد أحدهما حتى يجرد صاحبه فيبرئ بالأول الرؤوس والهام، ويبرئ بالثاني النفوس من سقام الأوهام، ومثله في أدباء الأمراء كمثل (سيف الدولة بن حمدان) غير أنه كان أوفر ذماماً وأوفى عهداً وميثاقاً من ممدوح المتنبي ويستشف من خلال خطبته وكتاباته، ومن بين قصائده وقاطع أبياته الطبع وفخامة التعبير...فليس دون الطبقة الأولى من أدباء عصره»[1].

وهاهو الأمير يبث لنا شكواه من ألم الاغتراب وهو في بلده حين رحلوا عنه من هم بمثابة الروح من الجسد والربيع لقلبه؛ يقول لإخوانه وبعض المجاهدين الذين تركوه متوجهين للمغرب الأقصى:

«يَا سَوَادَ العَيْنَ يَا رُوحَ الجَسَدِ يَا رَبِيعَ القَلبِ يَا نَعِمَ السَنَدِ

مُذْ تَرَحَلْتُمُ أَذَبْتُمْ مُهْجَتِي وَدُمُوْعِيْ فَائِضَاتاً مِنْ الْكَمَدِ

فَنَيَ الْصَّبْرُ وَلَمْ يَفْنَ الجْوَى مَا أَرَاهُ فَانْيَاً حَتَّىْ الْأَبَد

وَذَوِي لَمْ يَكُنْ طِبّاً يَانِعَاً وَوَهِيَ الْعَظْمُ وَلَمْ يَبْقَىْ الْجَلَدْ

[1]- أعيان البيان من صبح القرن3 إلى اليوم: حسن السندوبي، المطبعة الجمالية، بحار الروم، ط1، مصر، 1332هـ-1914م، ص175.

فَحَيَاْتِيْ بَعْدَكُمْ مُذْ غِبْتُمُ مِنْ مَجَازٍ مُرْسَلٍ عِنْدَيْ يُعَدْ»[1]

فهو يشتكي آلام الاغتراب، من قلة الصبر، والجوى ولوعة النفس. لكن تعود الروح للجسد؟ بعد أن كانت حياته مجازاً مرسل.

« ينادي بهم لعله يجد من الدهر صدى يقول:

كَمْ أُنَادِيْ حَيْنَ يَبْدُوْ وَصَحْبِهِ يَاْسَعْيْدَاً هَلْ؟! خَيَاْلاً لَيْ يُرَدُّ؟!

فَتُرَدُّ الْرُّوحُ لِلْجِسْمِ وَيَاْ مُصْطَفَىْ! هَلْ مِنْ دَوَاْءٍ لِلْكَمَدِ

شَاْقَنِيْ حُبُّ حُسَيْنُ شَاْقَنَيْ مَاْلِحُكْمِ اللهِ فِيْ الْقَلْبِ مَرَدْ

هَلْ يَجُوْدُ الْدَّهْرِ مِنْ بَعْدِ الْنَّوَىَ بِاِقْتِرَاْبٍ؟! يُحْيِ مَيْتَاً لَمْ يَعُدْ»[2]

فالأمير لا يختلف عن غيره من الشعراء المشارقة أمثال محمود سامي البارودي وأحمد شوقي في تجربة الاغتراب سواء في داخل الوطن أو خارجه، بل يتقاطع معهم في كثير من الألفاظ والعبارات والمعاني وهذا باب واسع لا يزيد الخوض فيه؛ لكن ربما كانت تجربته أسوء منهما كونه عانى قهر الاستعمار الفرنسي، فعاش في الأسر في غير بلده وألم القلب كان لا يقهر الأمير لا ألم الجسد، فلم يحك إلا ما يروم هذا القلب من أوجاع الفراق. يقول:

«أَلَاْ إِنَّ قَلْبَيْ يَوْمَ بِنْتُمْ وَسِرْتُمُ غَدَا حَاْئِمَاً خَلْفَ الْظُّعُوْنِ يَطَيْرُ

يُقَاْسِيْ مَرَاْرُ الْمَوُتِ مِنْ أَلَمِ الْجَوْىَ فَمَاْلِيَ إِلَّاْ أَنَّهُ وَزَفِيْرُ»[3]

أضف إلى ذلك كله ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه في نشر الفكر الإصلاحي و تجزير العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس، ليحارب بذلك الأفكار التي تبشر بها فرنسا لتصغف العقول ، و تنال بذلك من القيم.

وهو ما آل به إلى التعايش مع مجتمع عصفت به الأهوال و بدأ بتميع مع الثقافات الغربية الزائفة.

يقول: إِلَىْ اللهِ أَشْكُوْ مَاْ أَوْلَاْقِيْ مِنْ نَوَىْ وَحَمْلَيْ ثَقَيْلَاً لَاْ تَقُوْمُ بِهِ الْأَيْدَيْ

والأمير عبد القادر معروف بطريقته الصوفية التي تجعل منه مغترباً عن الحياة زاهداً فيها متمسكاً بحب الله وكل ما يقربه إليه زلفة.

[1]-ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري:1807م-1883م، جمع وتحقيق: العربي دحو، ثالة ، ط3، الجزائر، 2007م، ص78-83

[2]- المصدر نفسه، ص83.

[3]-المصدر نفسه: ص89.

لكن عرفت مرحلة منتصف العشرينات من القرن العشرين جمودا فكريا «وعرفت الجزائر نوعا من الاستقرار والهدوء في ظل الاحتلال، استقرار وهدوء لا عن رضى واطمئنان نفسي، وتسليم بالواقع، لكنه الاستقرار الأليم الذي جاء بعد فشل جميع المحاولات الثورية» [1] في ظل هذا الواقع تباينت بعض الأصوات الخافتة التي تتحدى الواقع ولو بالبكاء على الأطلال والديار؛ والانطواء على الذات كما سماها عبد الركيبي في كتابه؛ «فكان الشعر في هذه الفترة قد اتجه هذا الاتجاه السلبي القاتم، الذي لم يقدم حلولا، ولم يشارك الشعب مأساته، ويحاول أن يخفف من الإرهاق الذي يعاني منه الشيء، الكثير، فهناك من حاول أن يخرج به إلى شيء من الشمول...ولكن في غير إفصاح بل في صوت مبحوح، ونغمة فاترة، ونبرة خجل»[2]وهذا ما يدل على أن الشعراء عاشوا اغترابا بكل أنواعه وأكثر ما يتجلى في هذه الفترة الاغتراب الروحي، لأن أغلب هؤلاء الشعراء توجهوا إلى الشعر الصوفي والإصلاحي.

ثم جاءت فترة الدعوة إلى النضال والكفاح خاصة بعد بروز الحركات السياسية التي كانت تدعو إلى الاستقلال التام للجزائر،«فقد أخذت الحركة الإصلاحية منذ سنة(1931) تسجل الانتصار تلو الانتصار في الميدان الاجتماعي والثقافي، مما كان له الأثر المباشر في بعض الشعراء الذين دب فيهم روح الأمل »[3]وبرز في هذه الفترة رمضان حمود رائد نهضة الشعر الجزائري الحديث وعبد الحميد بن باديس الذي كان أغلب شعره سلاحا للدفاع عن الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية، لكن مع كل هذا التفاؤل إلا أن هناك من أنهكته الغربة أمثال: الشاعر مبارك بن جلواح العباسي (1903-1943م) ولد في مدينة بجاية، وهو في أصل من ولاية المسيلة؛ وقد عاش الشاعر إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، «وكانت حياة جلواح مأساة من نوع آخر.

وحقيقة أنه أنتج شعرا غزيرا. وكانت حياته الذاتية غامضة ومثيرة، وكان من المجندين في خدمة الجيش الفرنسي عام 1928م، ثم عاد للجزائر بعد تأسيس جمعية علماء المسلمين، ثم جند للحرب من جديد سنة 1939م و لا ندري ما حدث بعد ذلك»[4]، وبما أن الشاعر كان مغترب في فرنسا ومجندا في صفوف جيشها، سنحاول أن نلتمس بعض المفردات الدالة على الاغتراب والحسرة.

---

[1]- دراسات في الأدب الجزائري الحديث :أبو القاسم سعد الله، ص23.

[2]-دراسات في الشعر العربي الحديث: عبد الله الركيبي، تقديم: صالح جودت، كتب ثقافية، دط، دت، ص13.

[3]-الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته وخصائصه الفنية1925-1975): محمد ناصر، المتصدر للترقية والثقافية والعلمية والإعلامية، ط3، 2013م، ص89.

[4]- ينظر:تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج8، 1998م، ص296،297.

شعره:قصيدة (صحراء الوجود):

"حَمَامٌ أَمْ تَنُّورٌ أَمْ بُرْكَانٌ يُشْوَى بِهَا الإِنْسَانُ وَالحَيَوَان

أَمْ أَنْتَ يَا هَذَا الوُجُودُ جَهَنَّمُ يُصَلَى لَظَاهَا الخَلْقُ وَلأَكْوَانُ

بَلْ أَنْتَ صَحْرَاءٌ مَا بِهَا ضِرْعٌ وَلاَ زَرْعٌ وَلاَ ظِلٌّ وَلاَ رَيْحَان

مَبْسُوطَةٌ لاَ نِهَائِيَة لَهَا سِرٌ تَوَلَّى كَتْمُهُ الدَّيَّان

مَحْدُودَةٌ شَرْقاً بِخَضْرَاء بِهَا لَسْنَى الحَيَاةُ وَنَارُهَا دُخَان

وَبِخَدِّهَا الغَرْبِيُّ خَضْمٌ زَاخِرٌ بِالهَالِكِينَ لِمَوْجَةَ ثَوَرَان

وَعَلَى حُدُودِ جَنُوبَهَا تَبْدُو لَنَا لَحِمَى المقَادِرِ وَالقَضَا خِلْجَان"[1]

من خلال هذا المقطع من ديوان الشاعر «دخان اليأس» يتبين لنا أن حياة الشاعر مليئة بالحزن والتعاسة، لأنه عاش غربتين أولهما غربة الأهل والوطن ، والثانية غربة داخل فرنسا لأنه كان يخدم العدو على حساب بلاده.

وقد اختار الشاعر عنوان الديوان بحيث يتناسب وموضوع قصائده، وهنا يتبين لنا عند قراءة في العنوان أنه مزج الدخان باليأس ، فقد اجتمع كلمتين دلالتين على الحزن والحسرة ، فالدخان يعني به الشيء الملوث الذي يعكر صفوة السماء والهواء، واليأس هو شعور الإنسان بفقدان الأمل من كل شيء حوله، وبذلك يختصر الشاعر حياته البائسة ونفسه المتشائمة في كلمتين.

فيتبين« لنا أن نظرة الشاعر متشائمة من خلال اختيار المفردات أولها:عنوان القصيدة (صحراء الوجود) حيث أنها تدل على الضياع و الحر»[2].

والكلمات التي اعتمد عليها في بناء قصيدته معظمها تدل على الحياة التي كان يعيشها في أرض الغربة، فكانت معظمها تدل على النار و الجحيم منها(نار، لظاها، جهنم، ...) كلها مسميات شبهها بالصحراء من حيث الحر والقحط.

ومن هنا نستنتج أن الكلمات التي اختارها الشاعر أغلبها لها مدلول واحد وهو «الغربة».

و استمر هذا الوضع حتى عرفت الجزائر مرحلة انتقالية بعد مأساة ماي1945» فلقد تركت المآسي التي شهدتها الجزائر جراحات عميقة في نفوس الشعراء، لونت شعر بعضهم بالحزن والتشكي، وعبأت شعر آخر بالثورة

[1]- الاغتراب في حياة الشاعر مبارك بن جلواح: جاب الله أحمد، مجلة المخبر، العدد1، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2004م،ص149.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص150.

والتمرد، كما لجأ بعضهم إلى السكوت المطبق «[1] وبذلك نجد أغلب شعراء الشعر الجزائري الحديث في هذه الفترة عاشوا مرارة الغربة ونفي، ومنهم كابد العيش داخل الوطن من أجل النضال والسعي نحو الاستقلال؛ فاضطروا إلى توصيل آهاتهم وآلامهم للعالم من خلال الشعر ومن ثم «يأتي في تلك المرحلة شعر اليقظة، ثم بعد ذلك شعر الثورة التي كانت فاصلا في جميع مناحي الحياة وابرز شعراء هذه الفترة محمد العيد آل خليفة و مفدي زكريا»[2].

نجد الشيخ محمد العيد آل خليفة(1904-1979م) الذي لا ينفك يغترب عن هذه الحياة راجياً متوسلاً الحياة الآخرة يقول:

« هَلْ لِلْحَقَائِقِ فِيْ الْحَيَاْةِ وُجُوْدُ كَاْدَتْ عَلَىْ عَقْلِيْ الْشُّكُوْكُ تَسَوْدُ

مَاْ فِيْ الْحَيَاْةِ حَقِيْقَةً مَحْدُوْدَةٍ إِلَّاْ اِصْطِلَاْحَاْتاً هَاْ وَقُيُوْدٍ»[3]

ويقول أيضاً:

« صَيِرَاً عَلَىْ لَيْلِ الْحَيَاْةِ وَطَوْلِهِ حَتَّىْ يُشَقُّ مِنَ الَصبَاْحِ عَمُوْداً

مَنْ مَاْتَ لَاْرَيْبَ اِسْتَهَلَّ فَلَاْ تَخَفْ الْمَوْتُ دُنْيَاْ وَالْلُحُوْدُ مُهُوْدُ

يَاْمَوْتُ خَوْلْتَ اِبْنَ آدَمَ رَاحَةً مَاْ بَعْدَ جَوْدِكَ لِاْبْنِ آدَمِ جَوْدُ»[4]

وهنا يتجلى الاغتراب الروحي للشاعر حين يعزف عن الحياة ولا يبد ومقنعاً بها بل ينصرف اهتمامه وأمانيه إلى الحياة التي تنظره بعد الموت.

وبهذا فإن ظاهرة الاغتراب عند الشعراء الجزائريين شاعت بعد احتلال فرنسا لبلادنا، وازداد شيوعاً بعد الحربتين الكونيتين حيث كثرت في قصائد شعراءنا، خاصة بعد ظهور مذاهب أدبية فنية كالرومانسية[5] والسريالية[6]

---

[1]-ينظر: الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته وخصائصه الفنية1925-1975): محمد ناصر، ص94.

[2] - ينظر:دراسات في الشعر العربي الحديث: عبد الله الركيبي،ص58.22.18.

[3]- ديوان محمد العيد آل خليفة: محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، مليلة –الجزائر، 2010م ص25.

[4]- -المصدر نفسه: ص25.

[5]- الرومانسية: ظهرت كرد فعل ضد الثورة الصناعية وضد الأرستقراطية والمعايير الاجتماعية والسياسية في عصر التنوير، وقد تجسدت بقوة في الفنون البصرية، الموسيقى والأدب .

[6] -السريالية: أو الفوق واقعيّة، هي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية، و هي مذهب أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية

فالشاعر المتبني لهذه المذاهب كثيراً ما يجد نفسه مغترباً حتى وهو في بلده محاطاً بأهله وأحبابه؛ فما بالك بذلك الذي مزقت الحرب شمله وألزمته على الالتحاق بجبهات القتال، أو نفته السلطات الاستعمارية عن أراضه عن أرضه ومنبت عرقه، فيقاسي البعاد وتلهب بداخله حرقة الشوق لأم لا يعرف حالها وأخوة وأبناء لا يدري عنهم إن كانوا أحياء أو أموات.

فتتأرجح عواطفه ويقوى تروعه إلى بلده، فيكون ثمرة كل هذا أشعار طابعها الحب والحنين، تعبر عن الاستلاب الذي ألم بالشاعر .

ومن الشعراء الجزائريين نجد الشاعر ربيع بوشامة(1916-1959م) الذي تجلى الاغتراب عنده في قصيدته» من غريب وهو في وطنه»

يقول فيها:

" ارتكاب التفريق بين صحاب وشريكي عمرو أهل نسابه

فرق اليوم بيننا فكلانا مبعد عن أخيه يشكو اغترابه"[1]

وغيره الكثير، فكانت ظاهرة الاغتراب في ذلك العصر لأسباب حسية أو معنوية إما أنها نتيجة لاستعمار أو لسبب يعود للكاتب نفسه.

3/الشعر الجزائري المعاصر:

بعد بزوغ فجر الاستقلال و عمَّ السلم والطمأنينة، واسترجاع السيادة الوطنية، أصبح الشغل الشاغل عند الجزائريين هو كيفية بناء الجزائر من جديد وبعث روح التفاؤل والإصرار على إعادة اعمار الجزائر ليس عمرانيا فقط، بل حتى فكريا وثقافيا بحيث يستطيع أي جزائري المشاركة في هذه النهضة.

لكن الجانب المظلم في هذه الفترة هو ظهور بعض المظاهر التي أخلت المبادئ والقيم التي كان يرنو لها شهداء ثورة نوفمبر، لكن سنقتصر الحديث على أهم الفاعلين في هذه الثورة المباركة؛ الشاعر والمجاهد محمد بلقاسم خمار (ولد1931م) الذي قال في مقدمة ديوانه الشعري « لقد تغربت بجسدي عن وطني أكثر من عشرة سنوات...أما فكري و وجداني فلم أغب عنه ولو ليوم...وأنني منذ الاستقلال، أعاني من قساوة الغربة، ومرارة الاغتراب...»[2]، لقد كان بلقاسم خمار من شعراء الثورة التحريرية ومن أقلامها الفذة التي دافعت عن الجزائر حتى الاستقلال، وواصل نشاطه الأدبي حتى بعد الاستقلال بالرغم من الجمود التي عرفته الساحة الأدبية في هذه فترة،

[1]- ديوان الشهيد ربيع بوشامة: جمع وتقديم: جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2010م، ص233.

[2]-ديوان محمد بلقاسم خمار: محمد بلقاسم خمار، أطفالنا للنشر والتوزيع، دط، مجلد2، الجزائر، دس،ص14.

ثم تمر السنوات ويثري الشاعر المكتبة الجزائرية بعدة دواوين، لكنه عانى من التهميش والغربة، حتى أنه صرح قائلا: «إنني شخصيا لن أشعر بأي سعادة أو اعتزاز لو أصبح العالم كله يعرفني، وفي الوقت نفسه أكون مجهولا في وطني...»[1] وكانت سنوات التسعينات أو كما يعرف لدينا بالعشرية السوداء من أقسى الفترات التي مرت على الشعب الجزائري، فقد كانت مجهولة العدو وأصبحت الحرب في البيت الواحد بين الإخوة والأهل، وكانت تداعيات هذه الحرب وخيمة من الناحية البشرية والمادية والمعنوية، فكان الشاعر كأي جزائري تأزم بهذا الوضع فكانت أشعاره أكثر ما تحمل خيبة الأمل و الحزن على حال الجزائر وكل هذا وهو مغترب وبعيد عن وطنه. « وهذا الاغتراب يضغط على إحساسه فيتألم ويسخط ويشكو ولا يجد أذنا صاغية لشكواه، راح شاعرنا يغني للجمهور، ولكنه لم يعط لشعره القيمة الفنية »[2]

ومنه ارتأينا أن نختار قصيدة من ديوانه (بين وطن الغربة وهوية الاغتراب) قصيدة»نفثات شاعر يحترق»

''مَجْنُونَة...يَاأَنْتِ يَابَلَدِي يَا فِكْرَة حَلَبَتْ...وَلَمْ تَلِدْ

عَرَبِيَة..قَالُوا..وَمُسْلِمَة لَكِنْ..بِلَا لُغَة، وَلَا سَنَدْ

سَيْفُ الأَمِيرَ..وَضَاعَ مُغْتَرِباً عَبْد الحَمِيدَ..وَمَاتَ مِنْ كَمَدْ

وَ العَاشِقُونَ..مَلَايِينَ مَوَاكِبَهُمْ ذَهَبَتْ بِلَا زَادٍ، وَلَامَدَدْ''[3]

في البيتين الأولين يصف فيها الجزائر بالمجنونة وأنها فكرة حلبت لم تلد يشر هنا إلى أن مبادئ نداء أول نوفمبر لم تظهر على أرض الواقع، (عربية ..ومسلمة)؛ كأن الشاعر يزعم بأن الجزائر لم تصبح عربية ولا مسلمة وهي بلا لغة، حيث وظف فعل قالوا، ويبن في البيتين الثاني والثالث أن الأمير عبد القادر وعبد الحميد بن باديس وجميع العاشقين والمخلصين للجزائر قد اغتربوا؛ أي ولم يحافظ الشعب الجزائري على الأمانة التي تركوها لنا. يتبين لنا أن الشاعر يتحدث عن نفسه، وأسفه على ما ألت إليها البلاد وضياع الحلم الذي كان يحلم به الشهداء.

و النقاط التي كان يستعملها بين الكلمات (...) هي دالة على الحسرة والحزن ومنها انسجمت مع حالته النفسية المتأزمة وكانت بالغة في التعبير عن فراغه الروحي وحنينه لوطنه.

ونختار قصيدة أخرى من الديوان بعنوان: «أنا..من أكون أنا..؟

«تَاهَتْ ظُنُونِي فِي اِخْتِلَافِ مَصَائِرِي وَاحْتَرْتُ بَيْنَ تَنَاقُضَاتِ خَوَاطِرِي

---

[1]- ديوان محمد بلقاسم خمار: محمد بلقاسم خمار، أطفالنا للنشر والتوزيع، دط، مجلد2، الجزائر، دس ص11.

[2]-مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر: محمد طمار، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2005م، ص81.

[3]- المصدر السابق، ص17.

وَمَضَيْتُ أَسْبَحُ فِي الفَرَاغِ، كَأَنَّنِي رِيشٌ تَهَاوَي مِنْ خَوَافِقِ طَائِرٍ

مَنْ ذَا أَكُونُ..؟..وَمَنْ تَكُونُ حَقِيقَتِي؟ وَمَتَى سَأَعْرِفُ وَاقِعِي، وَ مَعَابِرِي

قَلْبِي يُؤَكِّدُ لِي؟..يَقُولُ: جَزَائِرِّي لَكِنْ مَا أَحِيلُهُ...عَكْسُ مَشَاعِرِي

أَحْبَبْتُ أَرْضِي وَافْتَخَرْتُ بِمَوْطِنِي وَشَدَوْتُ مِنْهَا كُلَّ لَحْنٍ شَاعِرِي

وَوَهَبْتُهَا رُوحِي، وَمَا مَلَكَتْ يَدَيَّ وَعَشِقْتُ كُلَّ مَفَاوَزِي وَحَوَاضِرِي

أَهْدَيْتُ عُمْرِي لِلْجِهَادِ..وَعِنْدَمَا لاَنْطِلَاقِي، هَبَّ فِيهِ مُحَاصِرِي!؟»[1]

إن تحليلنا للقصيدة يأتي بعد ما تعرفنا على حياة الشاعر بلقاسم خمار الأدبية، من خلال مقدمته في ديوانه الشعري والذي عرّفنا بمختلف الدواوين التي نشرها في فترات متفرقة خاصة بعد الاستقلال.

وأشار في مقدمته أن الجزائر عاشت فترة تقاعس و ركود في الحياة الثقافية، بالعودة للتحليل القصيدة نبدأ بالعنوان: (أنا..): ضمير المتكلم يدل على ذات الشاعر، ثم تأتي النقاط المتتالية تدل على الفراغ النفسي الذي تعيشه ذات الشاعر.

(من أكون أنا..؟): ونلاحظ أن القصيدة مبنية على ضمير المتكلم «أنا» هذا يدل على أن الشاعر يبحث عن نفسه،أو ما نسمه باغتراب الذات، وهو عندما لا يكون للفرد هدف في الحياة.

وبدأت القصيدة بعبارات «تاهت، احترت، مضيت» هذه الأفعال دالة على الضياع والبحث عن شيء مفقود.

واستعمل أيضا عبارات دالة على البحث عن ذاته منها» قلبي، مشاعري، روحي، عمري...»

ونرى في البيت الثالث أنه يطرح تساؤلا:»من أكون..؟..» ويستدرك ويجب نفسه ويؤكد أنه جزائري، يعني أن الشاعر موقن أنه جزائري الهوية لكن ما يعيشه يثبت له العكس، وهذا ما يؤكد عن تيه الشاعر وغربته النفسية.

ويختار الشاعر عبارات الحب والتضحية « أحببت، ووهبتها، عشقت، أهديت..» كل هذه العبارات دالة على حبه لجزائر والتضحية التي قدمها أثناء حرب التحرير، لكنه عندما أراد أن يعيش لذة هذا النصر، اصطدم بواقع أليم أجبره على الاغتراب عن وطنه.

[1]- ديوان محمد بلقاسم خمار: محمد بلقاسم خمار، ص26.

ثانيا: الإغترابُ في الشّعرِ الجزائرِي المكتوبَ بالفرنسيةِ:

إن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وليد ظروف عديدة أولها الإستعمار الفرنسي للجزائر الذي دام أكثر من مئة سنة ، فكان من أبرز أهدافه أن تصبح الجزائر ولاية فرنسية؛ ولا يتحقق هذا الغرض إلا بالقضاء على أهم أساس من أسس المجتمع الجزائري؛ ألا وهي اللغة العربية والتي كانت الرابط الروحي بين أبناء الجزائر والوطن العربي بصفة عامة كيف لا؛ وهي لغة القرءان الذي وحدهم تحت راية واحدة وهي راية الإسلام، فكانت الحركات الاستعمارية في كل العالم أول ما تبدأ به هو الدين واللغة، لكن فرنسا كانت الأكثر همجية خاصة في الجزائر «فكان همهم الأساسي هو تحطم القلعة الأولى في كيان الأمة الجزائرية ألا وهي قلعة اللغة العربية، وقد كان هدف المستعمرين إضعاف الوحدة الفكرية بين أبناء الوطن الواحد وبتالي تضعضع الشعور بالانتماء إلى الوطن العربي الكبير»[1] ، لكن الشعب الجزائري ظل صامدا في وجه هذه السياسات بالكفاح عن طريق الجمعيات والزوايا التي كانت تسعى للحفاظ على اللغة العربية.

وكان ظهور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية كنتيجة حتمية لهذه الظروف المحيطة المثقفين فلم تكن عند هؤلاء غاية بل وسيلة لإيصال صوتهم للمستعمر الذي كان يشعر أنه انتصر بعد ما ظهرت كتاباتهم وإبداعاتهم الأدبية ، وهذا ما وقف عليه كاتب ياسين « أكثر من مرة على أن موقفا الكاتب الجزائري الذي يعبر بالفرنسية هو لأنه بين خطين من النيران يجبرانه على أنْ يبدعَ، ويرتحل»[2] فمع أنَّ هذه اللغة التي استعملها الكاتب الجزائري هي لغة عدوهم، إلا أنها في نفس الوقت وسيلة لمكافحة هذا المستعمر، فقد أثارت إشكالية الكتابة في الأدب الجزائري بالغة الفرنسية جدلا كبيرا وسط الدارسين وتنوعت آراءهم حول هذه القضية فمنهم من وقف في صفهم وهناك من عارض؛ وهذا الموضوع شائك إلى يومنا هذا.

أما الشّعر الجزائري المكتوب بالفرنسية هو غامض ومتشابك أكثر من الفنون الأخرى لأنه لم يلق ذلك الإهتمام الذي حظيت به الرواية والمسرح والقصة عند الدراسيين، ففي هذا العنصر سنتعرف إلى هذا النوع الأدبي و مراحل تطوره و قضاياه وأهم من كتبوا الشعر بالفرنسية.

---

[1]-ثورة أول نوفمبر1954:أحسن بومالي،مجلة المصادر، العدد10، الجزائر،2004م، ص20،21.

[2]-الأدب المكتوب باللغة الفرنسية: محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتب، دط، 1996م، ص105.

1/مراحلُ نشأَتَه:

لقد كانت نشأة الشّعر الجزائري باللسان الفرنسي مصاحبة بظهور الأدب الفرنكوفوني، حيث كانت السياسة الفرنسية السبب الرئيسي لظهوره فقد» كانت الحملة تستهدف الشعب جسماً وروحاً، فقد أدركت أنَّ الخطر عليها لا يمكن أن يزول بابادة الجسم وحده، فطاردت الإثنين معاً»[1] فلا يوجد زمن محدد له، فإذا تتبعنا مراحل ظهوره نقسمها حسب القصائد الموجودة عندنا في الكتب التي بينا أيدينا منها «كتاب أبو القاسم سعد الله ومجلة الثقافة»، وقسمنها إلى أربعة مراحل وهي كالتالي:

***مرحلةُ ما قبل الأربعينيات:** لم يكن هناك شعر بل كانت هناك محاولات بسيطة «فرغم انتشار التعليم الفرنسي المحدود منذ أواخر القرن الماضي ورغم وجود عدد من الجزائريين الذين درسوا الطب والأدب والقانون، فإننا لا نعلم أنهم أنتجوا شعرا بالفرنسية قبل الأربعينيات إلا نادرا»[2]، وقد نفى أبو القاسم سعد الله تأثر الأدباء الجزائريين بالشعر الفرنسي في هذه المرحلة رغم وجود إشارات تدل على بعضهم قد تأثر خاصة في مجال الترجمة فقد ترجم العديد من الأدباء للشعراء فرنسيين، منهم أحمد رضا حوحو؛ وهو في الحجاز قد ترجم لفيكتور هيجو، ولم يكن شاعرا، أما في بداية الأربعينيات قام إسماعيل العربي بترجمة بعض القصائد الفرنسية إلى العربية ولكنه لم يكن شاعرا أيضا[3]، ومنه فإن هذه المرحلة غلبت عليها طابع الترجمة التي كان لها الدور الأكبر في التأثر بالآداب الفرنسية.

***مرحلةُ ما بين1945إلى 1962:** لقد جاءت هذه المرحلة عقب المأساة الوطنية في الثامن من ماي 1945، و أحدثت هذه المجزرة جرحا عميقاً في قلوب الجزائريين، وكانت منعطفا حاسما في مسار الكفاح في الجزائر، وكانت هذه السنة أيضا بداية الحرب العالمية الثانية التي عكست مصير الكثير من الدول، فقد تبلور الوعي الوطني لما يحدث في العالم لدى جميع فئات المجتمع في السعي نحو الاستقلال، وكان هذا الوعي في الدفاع عن الجزائر بمختلف الوسائل المتاحة عسكريا وسياسيا وفكريا، فقد نشطت الحركات السياسية في الداخل والخارج؛ فكان صوت القلم هو أيضا حاضرا في مختلف المجلات والجرائد التي كانت تنشر إبداعات الأدباء سواء شعرا أو نثر، وظهرت العديد من الدواوين الشعرية باللغة الفرنسية خاصة إبان ثورة أول نوفمبر 1954» فقد ولدته ثورة التحرير الوطني (هذا التصور) فرض أشكالا شعرية جعلت من الشعر الفرنكوفوني الجزائري شعرا مكافحا وليس

[1]- الشعر الجزائري: صالح خرفي ، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، دت، ص12.

[2]- تاريخ الجزائر الثقافي : أبو القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 1998م، ص202.

[3]- ينظر: - المرجع نفسه، ص202.

تأمليا وأضفى عليه هاجسه المتفائل ونزعة الإنسانية النشطة»[1] وكانت هذه الفترة تسمى بمرحلة مخاض المشروع الشعري؛ «ظهرت في هذه المرحلة أولى المجموعات الشعرية (مناجاة الذات) لكاتب ياسين(1946)، (أغاني فتيات عربيات) لمصطفى أشرف(1953)، ونقر من هذا المنطق بظهور التعبير الشعري الجزائري النضالي بميزانه المزدوجة: المطالبة بالهوية سياسيا مع التأكيد الثقافي الوجودي»[2]

إذن فالشعر يعبر عن وجدان الشاعر ورغبته الجامحة في الدفاع عن أرضه، والتمسك بثقافته ومبادئه حتى وإن اختلفت اللغة، «كما ظهر شعراء كبار خلال الخمسينات وارتبطوا بأدب الثورة نثرا وشعرا، منهم مالك حداد فقد نشر ديوانه (الشقاء في خطر)في باريس1954، تغنى فيه بالمقاومة الوطنية، وديوان (أسمع أناديك) في باريس 1961، ونشر كاتب ياسين (قصائد الجزائر المضطهدة)1948، ونشر محمد ديب(الظل اليابس) في باريس1961، فكانت تتحدث عن الجزائر الأم وعن المنفى الحديث وعن الغربة الفعلية التي كان يعيشها عندئذ والغربة الرمزية الداخلية»[3] وهناك شعراء كثيرون في هذه الفترة تغنوا بالثورة وأرض الجزائر باللغة الفرنسية أمثال جمال عمراني، جون سيناك، جون عمروش، هنري كريبا، وآسيا جبار، ليلى الجبالي، و مليكة أو الحسن وغيرهم الكثير؛ فقد كانوا نشطين موازاة مع الشعراء باللغة العربية.

***مرحلةُ ما بعدَ الاستقلالِ(1962-1972)الوضوح وأولى التساؤلات:** لقد تعرفنا من قبل على الظروف التي تلت استقلال الجزائر، « فأثرت تأثيرا مباشرا على الوضعية الثقافية في البلاد فقد شهدت الحياة الثقافية ركودا مزمنا أثر بدوره على الحياة الأدبية بصفة عامة وعلى الحركة الشعرية بصفة خاصة»[4] وبما أن البلاد في مرحلة بناء فكانت كثرة التوجهات وتعدد الاديولوجيات في كل المجالات، فكان الشعر رغم قلته في الغالب يتمحور حول اتجاهين أساسيين هما« اتجاه المدح والثناء الذي يعنى بتشييد الجزائر الجديدة، ومن أجل نضالات التشييد المستقبلية، أما جون سيناك، جمال عمراني فشعرا بضرورة التجنيد عن قناعة.»[5]

---

[1]-مقال: التلقي الروسي للأدب الجزائري: عبد العزيز بوباكير، مجلة اللغة والأدب ، العدد10، 1417هـ-1996م، ص76.

[2]- الشعر الجزائري باللغة الفرنسية بعد 8ماي 1945:مقال لمحمد الأخضر معقال، مجلة الثقافة، العدد1، الجزائر،1993، ص87.

[3]-تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، ج10، ص190.

-الأدب الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية1925-1975): محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2006[4]م، ص161.

[5]- المرجع نفسه ، ص92.

*مرحلةُ الإقصاءَ الثقافيَ وإنهاكِ الشّعر(1972)

كانت سنوات السبعينات اللبنة الأولى لبروز جزائر الاستقلال، فكانت في هذه السنوات العشر كفيلة لإعادة بناء الشخصية الجزائرية؛ «وقد أعلنت الحكومة الجزائرية أنه (لتأكيد شخصية الجزائر لابد أن نتذكر دائما أن اللغة هي عنصر مادي لهذه الشخصية) لذلك فقد كان الاختيار الأول للجزائر الذي أملاه القلب ومتطلبات الواقع كان إعطاء اللغة العربية مكانتها كلغة وطنية...»[1] فهذا الموقف كان نوعاً من إعلان أن اللغة العربية هي اللغة الوحيد للتخاطب والتواصل بين الشعب الجزائري، ومنه القضاء على اللغة الفرنسية التي كانت تعد نوعاً من بقايا الاستعمار الفرنسي في الجزائر، «وكان قانون استعمال اللغة العربية حصر إقليم الشعر الجزائري باللغة الفرنسية إذ حرمته الدولة من ميدان تعبيره» [2] فكان هذا من أهم أسباب تقهقر الشعر الجزائري باللغة الفرنسية؛ بالإضافة إلى سيطرة الرواية التي أصبحت المهيمنة على الساحة الأدبية؛ «فظل الشعر باللغة الفرنسية بعيدا عن العقلية المادحة ومجالس المداحين وعالم السياسة، وانساب يحاول التعبير عن ضيق وجداني..»[3] الإقصاء الذي تعرض له من قبل سياسة البلاد جعله بعيداً عن مجال السياسة فنصرف إلى التعبير الوجداني، وأبرز مثال في هذه الفترة آسيا جبار التي نشرت لها مجلة (الشاشتان) قصائد بعنوان «أغاني النسيان»سنة1982م، ورشيد بوجدرة.

2/مضامينُ الشّعرَ الجزائريَ المكتوبَ بالفرنسيةِ:

مما لا شك فيه أن أدب أي أمة هو وليد تلك الظروف التي تمر بها ومرآة عاكسة لها، وكذلك هو الحال بالنسبة للشّعر الجزائري المكتوب بالفرنسية، وهذا ما أردنا أن نحصر مضامين هذا الأخير في نقاط محددة فإننا نجد أنفسنا مقصرين لا قدرة لنا على حصرها ذلك لأننا أمام باب واسع وموضوع لا يزال يلفه الغموض والإبهام إن استحضرنا شيئاً منه غابت عنا أشياء، خاصة أن الدواوين الشعرية لا تكاد تتوفر في لغتها الأصلية ناهيك عن الترجمة والدراسات المتعلقة بها.

لكن بالعودة إلى بعض النتف المترجمة في بعض المجلات والجرائد يمكننا القول إن الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية قد تضمن قضيتين أساسيتين ركز عليهما هما: القضايا السياسية والتي تعنى بالحرب واسترجاع السيادة، وقضايا اجتماعية التي تدور حول المجتمع وواقعه المعيش بكل أطيافه.

---

[1] – الجزائر أرض القمم الثلجية والشمس المشرقة: الرئيس هواري بومدين، الموقف العربي، العدد1، محرم1397هـ-1977م، القاهرة.

[2] –الشعر الجزائري باللغة الفرنسية بعد 8ماي 1945:محمد الأخضر معقال، مجلة الثقافة، ص93.

[3] – المرجع نفسه ،ص93.

***القضايا السياسية:** لقد شكلت الثورة الجزائرية هاجساً لجل الأدباء الجزائريين بما فيه الشعراء ذوي اللسان الفرنسي ولعل من أبرز الأسماء المعبرة عن القضية الشاعر"جان موهوب عمروش الذي كان له باع طويل في السياسة وسعى جاهداً من أجل أن تنعم بلده بحريتها، خاصة حين توسط بين فرحات عباس رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة، والجنرال ديغول، يقول عنه الباحث «جان ديجو»: قد التزم جان عمروش روحاً وجسداً طيلة حرب الجزائر "[1]

فهو لا يجد بدّاً من الإفصاح عن مواقفه السياسي ويبن مدى التزامه بوطنه واسترجاع حقه لمداس عليه، يقول:

"نحن لن نقبل أبداً أن ننتهي في المنفى،

في ماضي بلا ذكريات

وبلا مستقبل"[2]

فهو ثائر لا يرضى أن تكون الجزائر فرنسية، ولا بأن تكون منفاه، لا يريد أن تعيش جزائر غير جزائر العروبة، ويواصل اصراره على هذا الطلب

"هنا وفوراً

نريد

أحراراً إلى الأبد تحت الشمس وسط

الريح

والمطر أو الثلج

وطننا: الجزائر"[3]

إذاً فعمروش كالكثيرين من الشعراء تلك الفترة اختار لشعره أن يكون منبراً لإعلاء صوت الجزائر والمطالبة بحريتها، إلى جانبه نجد كذلك كاتب ياسين، في ديوانه «مناجاة الذات»(1946) الذي يتنبأ فيه بقدوم الحرية يقول:

---

[1]- الشاعر الجزائري جان عمروش، يوغرطة الخالد: كريمة الإبراهيمي، عود الند، الجزائر /www .oudnad.net Karima birahim/3253:21، 20/02/2019

[2]- المرجع نفسه.

[3]- الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية بعد 8ماي1945: مقال لمحمد لاخضر معقال، مجلة الثقافة، ص88.

" أخيراً حين تأتي (ال) حرية تحت

النخيل

سأصغي للعيد أن تمزق قلبها يعرف الكفاح كيف يترقب

غداً ملحمياً

والمحارب الباكي قد أغرق بسالته

فلنترك الدم يسيل

على أرض الظمأ"[1]

ويذهب جمال عمراني إلى التعبير عن مدى حقده على فرنسا وموقفه الحازم على الفناء من أجل حرية الجزائر، يقول:

"سأظل أمشي في سبيل بلدي المعنى

سأسقط سعيداً

لأرتوي حباّ من بحيرة الجزائر

أتقيأ حقدي على لصوص الحياة"[2] .

فانتاج هؤلاء كان في وليد الثورة وبهذا فالشعر " الثوري الملتصق بالثورة في سهولها وجبالها، في مغاورها وكهوفها المنصهر فيها وثبة فدائية في المدن أو ملحمة عسكرية في الجبال، المبتزم بها كراً وفراً، هزيمة ونصراً، هذا الشعر يكاد يكون العمود الفقري لانتاج الثورة، فهي فيه نابضة خافقة، وحشود زاحفة متموجة، وبطولة اعفة بدم ساخن"[3]

فهؤلاء الشعراء وغيرهم" كانوا يدافعون عن قضية بلادهم بالقلم لا بالسلاح، وبالكلمة لا بالبندقية وبالحوار لا بالعراك"[4] وهذا ما جعلهم يختارون عناوين تجعل من الجزائر قطب رحب لها.

[1]- الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية بعد 8ماي1945: محمد لاخضر معقال ،مجلة الثقافة ،ص87.

[2]- المرجع نفسه، ص90.

[3]- الشعر الجزائري :صالح خرفي، ص239.

[4]-تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله،ج10، ص190.

***القضايا الإجتماعية:** إن الظروف الإجتماعية التي كانت تمر بها الجزائر من فقر مدقع وتشرد وتيتيم، تنطق الحجر، فما كان من الشعراء الجزائريين ذو اللسان الفرنسي، إلا أن يصوروا تلك المعاناة في ثنايا قصائدهم، لعلهم بذلك يخففون من ذلك الضغط النفسي الذي كان يقهر ذواتهم.

يقول كاتب ياسين في قصيدته «الجد المسافر»:

"عاملاً قديماً صار عالماً على الرغم من الأمراض والسجون

لكن أي شارع؟

يجب ألا يقال ذلك الجد"

بلغ شارع الكرواسان

الذي يملؤه المزارعون

بماذا؟

دمرتهم المدينة"[1]

وكأن ياسين يصف حياة الرجل الجزائري المثقف الذي حاولت السلطات الاستعمارية قهره وسعت جاهدة من اجل جعل النخبة المثقفة المعادية لها رهينة السجون محاولة طمس نور العلم، ويخبرنا المزارعين الذين فعلت فيهم المدينة فعلتها.

ويقول كذلك هذا الشاعر الذي ما همه سوى العرب و العروبة

"إذ... من خلف النصب... تأتينا

معاناة خطرة

تعكر في النبع موتنا"[2]

وهي تلك المعاناة التي عاشها الشعب أيام الثورة التي حملها هذا الأخير كل آماله وأحلامه؛ لكن الثمن لهم لم يكن هيناً

ونجد كذلك آسيا جبار التي اختارت أن تسمع من خلال آدابها للعالم صوت المرأة الخافت أو المهمش فتقول:

" الذاكرة هي جسم المرأة المحجبة

[1]- كاتب ياسين: الجد المسافر، مجلة شعر، العدد22، 1962م، ص20.

[2] - الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية بعد 8ماي1945: محمد لاخضر معقال، مجلة الثقافة، ص92.

عينها الطليقة وحدها تقيد حاضرنا

الأبيض الغارق في أعماق هوة السواد

الذاكرة هي صوت المرأة المحجبة

ليلة إثر ليلة يخنق هذا الصوت"[1]

فهي تربط بين الذاكرة العربية والإسلامية على وجه التخصيص والمرأة المحجبة؛ فهذان الاثنان في مواجهة النسيان الذي ولده الانقياد لثقافة الآخر دون تمييز الخطأ من الصواب في هذه الثقافة الوافدة التي أعمت العقول وغيبت القيم.

3/ غربة الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية و اغتراب وأصحابه:

لقد كُتب للشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية أن يولد في ظروف قاهرة وأن تخلقه ثقافة عدو لا يمكن تقبله الجزائر صديق في يوماً من الأيام وأن يكون الابن الشرعي لسياسة كانت مناهضة من طرف الجزائريين وهذا ما جعله مرفوضاً في بلده غريباً عن لغة شعبه رغم أنه في جوهره "تأكيد لواقع أعقبه الاحتلال الفرنسي والاستعمار الثقافي للجزائر وهو أدب جزائريين مؤمنين بوطنهم وتذمريين من غربتهم عن لغتهم العربية بل وحتى لهجتهم البربرية، وليس تعبيرهم بالفرنسية بطواعية بل هي نتيجة حتمية لواقع لم يكن لهم فيه يد وما كان مجيأه"[2]

في هذه الهيئة إلا ضرورة حتمية فرضت عليهم إسماع صوت الجزائر للعالم في زمن تقهقرت فيه اللغة العربية واستعمالاتها في هذا الوطن، وصار جلُّ المثقفين ناطقين بالفرنسية وغير قادرين على استعمال غيرها من أجل محاربة سياسة الاستعمار وكشف جرائمه للعالم إلا بلغته، فهم رغم ذلك لم يسمحوا لهذه الثقافة المفروضة عليهم أن تطمس هويتهم العربية والإسلامية.التي يعيشون في حنين لها في اغترابهم عنها رغم قربهم الشديد منها وفي الوقت نفسه لا يجدون بدّاً من التعايش مع هذه الثقافة فوجدوا أنفسهم لا ينتمون إلى هؤلاء أو هؤلاء؛"إن يقظتهم تعود في أغلب الأحيان إلى اتصالهم ومعرفتهم بالثقافة الفرنسية، وقد أصبح من المستحيل عليهم أن يتركوهم ويعودوا إلى الماضي الذي يحاولون الابتعاد عنه تماشياً مع ق20، ولكن يستحيل عليهم في نفس الوقت أن يقطعوا علاقتهم بالعالم وترابطهم الثقافي الخاص... أنهم ممزقون بين عالمين ولكنهم غير قادرين، وغير مريدين أن يختاروا أحدهما»[3].

---

[1]- أغاني النسيان: آسيا جبار، تر:عبد الباقي هرزشي، مجلة ثقافة، العدد1، 1993م، ص105.

[2]- الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير: نور سليمان، دار العلم للملايين، ط1، بيروت- لبنان، 1981م، ص15.

[3]- دراسات في الأدب الجزائري الحديث: أبو القاسم سعد الله، ص105.

الفصل الثاني:

الاغتراب الروحي في ديوان " الشقاء في خطر "

(Le malheur en danger)

- أ- التّعريفُ بالمؤلفِ مالك حداد(1927-1978م).
- ب- دراسةٌ وصفيةً لديوانِ الشقاء في خطر.

دراسة وصفية لديوان (الشقاء في خطر)مالك حداد« أنموذجاً» Le malheur en danger)

أ-التّعريفُ بالمؤلّفِ مالك حداد(1927-1978م):

أولاً-**من هو حداد؟**: مالك حداد هو شاعر وأديب وروائي؛ من ألمع الكتاب الجزائريين الذين كتبوا مؤلفاتهم باللغة الفرنسية. «ولد في مدينة قسنطينة شرق الجزائر، تعلم الكتابة والقراءة في المدرسة الابتدائية ثم الثانوية باللغة الفرنسية وواصل تعليمه العالي فيما بعد بمدينة(ايكس- اون- بروفانس) الفرنسية، حيث درس الحقوق، لكنه تركها قبل أن يتم دراسته ليحترف الكتابة»[1].

ثانياً-المناصبُ التي شغلها:

قبل الِاستقلال:

- «بدأ حياته الأدبية في الأربعينات بالكتابة في المجلات الفرنسية
- عمل في هيئة الإذاعة الفرنسية

بعد الِاستقلال:

- مدير الثقافة – مستشار مكلف بالدراسة والبحث في مجال الإنتاج المكتوب بالفرنسية
- انتخب أمينا عاما لاتحاد الكتاب الجزائريين»[2].

ثالثاً-مؤلفَاتُهُ:

-» الدواوين الشعرية:

ديوان الشقاء في خطر1956 (Le Malheur en danger)

ديوان أسمع أناديك 1961(Écoute et je t'appelle)

- الروايات:

الانطباع الأخير 1958 (La Dernière impression)

سأهبك غزالة 1959 (Je t'offrirai une gazelle)

---

[1]- أعلام الأدب الجزائري الحديث: الطيب ولد العروسي، دار الحكمة، دط، الجزائر، 2009م، ص131.

[2]- أعلام الجزائر(من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر): عادل نويهض، دار نويهض الثقافية، ط2، بيروت- لبنان، 1400هـ-1980م، ص281.

التلميذ والدرس 1960 (L'Élève et la leçon)

رصيف الأزهار لا يجيب 1961 (Le Quai aux Fleurs ne répond plus)

ترجمت أعماله إلى اللغة العربية في الجزائر ولبنان وسوريا"[1]

ب–دراسةٌ وصفيةً لديوانِ «الشقاء في خطر» :

لقد شهد العالم عدَّة تطورات خلال القرن 19م في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والأدبية وهذه الأخيرة عرفت ظهور عدة تيارات وتوجهات قلبت عالم الأدب، ومن خلال هذه التطورات فرضت على الشاعر أن يبقي ملتزماً بقضايا أمته؛ خاصة وهو يعيش زمن الحروب الاستعمارية التي سلبت الأوطان وقيدت الحريات؛ والتي استوجبت قيام ثورات الرافضة لظلم المستبدين و»لا خلاف بين الباحثين على أن ثورة شعرية وأدبية سبقت الثورة التحريرية المسلحة، وحثت عليها سواء بطريقة التصريح أو التلميح، ولا خلاف بينهم على أن الشعراء وواكبوا الثورة المسلحة، وأوقفوا عطائهم الشعري عليها تمجيدا وتخليدا"[2]، فكان لهم فضل كبير في إيصال القضية الجزائرية للعالم خاصة الشعراء ذو اللسان الفرنسي الذين كان هدفهم الأول هو خدمة الجزائر.

وكان مالك حداد من أبرزهم وهو الذي يعتبر ديوانه الأول بعنوان (الشقاء في خطر. وهو» أول عمل جزائري ترجم إلى اللغة العربية ديوان (الشقاء في خطر) وقامت بترجمته السيدة ملك أبيض العيسى ونشرته مكتبة حلب سنة1961م[3].

[1]– ينظر: أعلام الأدب الجزائري الحديث: الطيب ولد العروسي، ص133إلى 136.

[2]– الشّعر في مواجة المستعمر: كفاح جرار، دط، سارة للنشر، دراية، 2015م،ص533.

[3]–ينظر:ترجمة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية: أحمد منور، مجلة الفيصل، العدد231،دت، ص100.

عنوان الديوان	المؤلف	المترجم	سنة الكتابة والنشر	بلد الكتابة والنشر	ملخص الديوان
الشقاء في خطر Le - Malheur en danger	مالك حداد	ملك أبيض العيسى. راجعه وقدمه: سليمان العيسى	-كتب سنة 1956م - نشر1961م	كليرمون فيران- فرنسا نشر بمكتب حلب- سوريا	الديوان عبارة عن نافذة تطل بنا على خلد الشاعر يتغنى فيه بالجزائر و يبث لنا الشاعر من خلاله حسرته بأن كان هو أول ضحية لهذا الاستعمار بأن سلبه لغته. وهو كغيره من انتاجات الكاتب الشعرية ينقل آلآم وآمال الشعب الجزائري

وسنحاول من خلال هذا الديوان تتبع أبرز الألفاظ والمعاني الدالة على الاغتراب الروحي عند الشاعر، حيث "يمكن اعتبار كل رائد- مهما كان طابعه- يحوي بذور الاغتراب في بنيانه الداخلي وكل عمل أدبي أو فني لابد أن يعثر فيه على جذور الاغتراب منذ أقدم العصور وحتى الآن" [1] ؛وبما أن الديوان كتب إبان ثورة التحرير الجزائرية فكان لابد من إبراز أثر المستعمر وعلاقته في غربة الشّاعر.

أولا: قراءة في العنوان:

لقد أولت الدّراسات الحديثة عناية كبيرة للعنوان وذلك باعتباره العتبة الأولى للنّص والدَّال عليه، ومنه كان لزاما علينا أنْ نقف على العنوان بالتّمحيصِ والدِّراسة قبل الشُّروع في تحليل الدّيوان، ومن النظرة الأولى لعنوان الديوان" الشقاء في خطر" فإننا نجد الكاتب قد اختار عنوانه بكل عناية واجتهاد فنية وشاعرية، وجاء العنوان على شكل جملة اسمية أي أنه مشكل من مبتدأ وخبر.

ف"الشقاء" هو مبتدأ ، وشبه الجملة "في خطر" هو الخبر.وللوقوف على معاني ومفرداته فنجد:

[1]- حول اغتراب الكفكاوي (رواية المسخ نموذجا): إبراهيم محمود، مجلة عالم الفكر،م1، عدد2، 1984م، ص85.

الشق والمشقة: الجهد والعناء،" شقا: الشقاء والشقاوة، بالفتح ضد السعادة، يمد ويقصر، شقى يشقى شقا وشقاء وشقوة "[1]

والشقاء: الشدة والعسرة: وشاقيته أي صابرته، ويقال: شاقيت ذلك الأمر بمعنى عانيته"[2]

لكن اللافت في العنوان أنه برأ الشقاء وجعله هو الذي يتعرض للخطر وهذا مخالف لما ألفناه فمن ذا الذي يخشى على الشقاء من نفسه؟ بل من منا لا يخشى من الشقاء؟. فقد جاء في قوله عز وجل﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[3] وقال المولى جل في علاه﴿قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾[4]؛ فالملاحظ في الآيتين السابقتين أن حتى الأنبياء يخافون من أن يدركهم الشقاء ما يعني أن الشقاء هو خطر وهو المحذور منه وليس العكس إلا أنَّ الكاتب استطاع بكل جمالية فصاغ عنوان ديوانه في شكل استعارة تصريحيه، لكن السؤال المطروح هنا ما هو هذا الشقاء؟ أو بصيغة أخرى عن أي شقاء يتحدث الكاتب والذي يمكن أن يكون في خطر؟ وهل هو حقا في خطر؟ هل هو شقاء الكاتب نفسه أم شقاء أناس غيره؟.

هذا الشقاء الذي ينقض بفكيه على محاسن الأقدار فيمزقها إرباً إرباً هو الآن المتمزق وهو الضحية، ويمكننا أن نجد له بعض الإسقاطات في الديوان ومن خلالها والتي ستمكننا من الإحاطة بالمعنى الدلالي للشقاء فمثلا في قوله:"لأطهر بكائي من عذاب الأحزان التي يقصونها علي

لأجعل الشقاء يطفو أخيراً على صفحة تيار"[5]

1- يقصد به شقاء والده عليه وشقاء السياسة الفرنسية اللذان سعيا إلى جعله فرنسياً لكنه يكبر ليزداد وعياً بقضية وطنه ويكبر بداخله حبه لبلده الجزائر رغم أنه طُمِسَ على هويته وتم تحويله إلى إنسان عربي بشخصية فرنسية فما كان منه إلا أن يرضاها وسيلة لتعبير ما دام أنه لم يعد بمقدوره تغيير الحالة التي وجد نفسه عليها، «فكان بحكمتعبيره بالفرنسية يصور مأساته الداخلية، مأساة الغربة عن اللغة والوطن بتقاليده وجذوره."[6]فرغم كون هذه

---

[1]-لسان العرب: ابن منظور، مجلد14، ص438.

[2]- المصدر نفسه ص439.

[3]- سورة طه الآية 1و2

[4]- سورة مريم الآية 4

[5]-الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى، راجعه: سليمان العيسى، ط1، مكتبة الشرق، حلب، 1961م،ص21

[6]- الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، نور سلمان، ص296،

القصائد دبلجة من لغة إلى أخرى وهذا أمر أثار قلقنا في البداية؛ إلا أنها تعكس ذات الشاعر بكل وضوح ومصداقية.

2- أو أنه شقاء المجاهدين والثوار الذين حرموأ من الحياة الهنيئة من أجل أن تنعم البلاد بنسائم الحرية.

يقول:"الشّقاءُ الجزائري...يا جلال الشقاء

إنه يعدّ أناشيد الغد المترع بالغناء"[1]

ثم يقول:"وددت لو أعرف أسم الشقاء"[2]

وكأنَّه ينبئنا أنه أمام دوامة من الأوضاع المأساوية التي أحكمت قبضتها على الشاعر وعلى الإنسان الجزائري المستعبد في أرضه الذي يحاول عبثاً اصطناع أحلام ترتسم فيها ملامح الغد المشرق بالبسمات.

3- ولعله شقاء الشاعر بين قلبه و عقله اللذان يظلان مشدودان لبريق ذكريات الماضي فيجعلان من صاحبهما كائن مترامي الأطراف لا يعثر لنفسه على مستقر محدود المكان؛ فهو وإن بدى الهدوء عليه إلا أن في داخله ساحة وغى تتضارب فيها أفكار العقل وأماني القلب فيحكم المتخاصمان على شاعرنا باللا تآزر بينه وبين نفسه؛ وهو ما جعله يخرج باستنتاج يوجه كنصيحة لصديقه الشاعر الجزائري في فاتحة ديوانه هذا بأن يكون أقل اكتراث عله بذلك يكفل تضامنه مع نفسه ومع الناس.

ثانيا: الاغتراب الروحي من خلال مقدمة الشاعر

القصيدة	مقطع من القصيدة	الكلمات الدالة على الاغتراب	التحليل
مقدمة الشاعر	”إلى صديقي الشاعر الجزائري لست جزائريا فحسب، وحتى تكون أشدّ تضامنا مع نفسك، ومع الآخرين،“[3]	صديقي، لست جزائريا، نفسك، الآخرين	يريد الشاعر مالك حداد من خلال السطر الأول أن يبن أن الشاعر إنسان قبل أن يكون شيئا أخر، ومن هنا يظهر لنا أن ملك حداد يعيش الغربة الروحية بحيث يحس أن الآخرين لا يقبلوه، فبدأ القصيدة كأنه يتحدث إلى نفسه.

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى،،ص37،

[2]-المصدر نفسه، ص45.

[3]-المصدر نفسه ، ص 45.

مقدمة الشاعر	''يقيني أنك تتساءل عما إذا كانت قصيدتك جديرة بأن تكون أغنية عنيفة بالغة القوة هذا ليس مهماً المهم يكمن في حالتك الشعورية، موقفك''[1]	أغنية عنيفة، حالتك الشعورية، موقفك	يتساءل الشاعر ما إذا كانت قصائده تصل إلى متلقيها بكل ما تحمله من معاني؛ ويردف ويقول» ليس مهما» المهم حالته الشعورية وكيف يحس وهو يدافع عن وطنه موقفه الرافض للاستعمار الفرنسي. وهنا يتبن لنا صراع الشاعر بين موقفه الرافض للاستعمار ولغته التي يحملها في لسانه ويعبر بها.
مقدمة الشاعر	''أيها الشاعر، يا صديقي! لنجعل القلب ذكيا، لنمنح قلبا للذكاء أريد براكين مفكرة، لأن الاندفاع الأهوج أصلع الفكر والفاعلية السلمية أنت تغمس قلمك في السواقي الكدرة، السواقي التي تحمل جسد الأفاعي المنتفخ عدو المياه النقية المغردة''[2]	الاندفاع الأهوج، براكين مفكرة، أصلع الفكر، الفاعلية، السواقي الكدرة، جسد الأفاعي، المياه النقية.	يقصد الشاعر بالبراكين المفكرة هي الثورة الشعرية والأدبية التي تحدث الفرق ودورها في الثورة المسلحة، ولا تكون ذلك الاندفاع الأهوج أصلع الفكر، يفضل الشاعر ثورة فكرية على أن يكون هناك اندفاع نحو الثورة دون فكر وتخطيط.
مقدمة	''محبرتك هي النبع،	محبرتك، أولادي،	محبرتك يعني بها قلبه وكيانه، وهي نبع أفكاره وهي

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى ،ص4.

[2]- المصدر نفسه، ص4.

الشاعر	هي الإنسان كله أعرف قلمك كما أعرف أولادي وطيبتنا"[1]	النبع،	التي تعبر عن إنسانيته،والإنسان يجب أن تحكم عليه من خلال ما في داخله وليس من مظهره، فهو يريد يخبرهم أنه جزائري الهوية والكيان، والهوية مرتبطة بنفس الشاعر لكنه لا يعيشها وبذلك يبرزها من خلال شعره. وتظهر أيضا في قوله» أعرف قلمك كما أعرف أولادي وطيبتنا» فهو يربط شعره بأولاده أي أن شعره مرتبط بأرضه ووطنه.

يذكر الشاعر في مقدمته عدة كتاب وشعراء منهم كاتب ياسين ومحمد ديب، وجاك سيناك الذين يتقاسمون معه غربة الوطن وغربة اللغة التي اجتمعت في غربة الروح، واجبروا على التعبير بلغة المستعمر، و محمد العيد آل خليفة يتقاسم معهم غربة الأرض التي سلب منهم.

ويذكر أيضا شعراء أجانب عاشوا الاغتراب بمختلف أنواعه سواء في وطنهم أو خارجه من بينهم (ماكوفيسكي الذي عاش طوال حياته مغترباً حتى وضع الحد لحياته تاركا دواوين مؤلفات تجمع بين كلماتها الفراغ الروحي الذي عاشه و أدى به إلى الهلاك)، والشاعر الفرنسي (أرغون) الذي كان من الداعمين لحركات التحرر لأنه كان شيوعيا.

القصيدة	المقطع من القصيدة	الكلمات الدالة على الاغتراب	التحليل
مقدمة الشاعر	"التاريخ غاص بصلصلة القيود، إنه يولد في الحديد كل ما حولنا يصدمنا، يثير فينا الألم والمرارة"[2]	التاريخ، صلصلة القيود، الألم والمرارة،	التاريخ هو الذي يسطر حياة الشعوب وماضيها، لكن يرى الشاعر أن التاريخ مكبل بالقيود وهي قيود المستعمر، وأنه يولد في الحديد أي أنه يولد في الحرب، وكأن التاريخ سلب منّا وأصبح مرتبطا بالحروب.
مقدمة	"حينما كنت طفلا،	كنت طفلا، نزهتي،	الحنين إلى الماضي كان يلازم الشاعر خاصة وإنه

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى ، ص4.

[2]- المصدر نفسه ، ص5.

الشاعر	كانت نزهتي الأثيرة حينما يتاح لي أن أركب القطار ما أجمل أن يركب الطفل قطارًا!"[1]	الطفل، القطار	يعيش غربة روحية والتي أبعدته عن كل ما يربطه بوطنه. كان كل ما يهم هذا الطفل هو رؤية العصافير والأشجار من خلال نافذة القطار.
ممقدمة الشاعر	"اليوم ترى أبعد من طرف بندقيتك، تمد بصرك إلى أبعد من طرف قلمك يجب أن تسير يا صديقي لتجعل وجودك أغنى وأخصب"[2]	بصرك، وجودك، تسير	بعد ما كانت أيام الطفولة مقتصرة فقط على نافذة في قطار ترى من خلالها الطبيعة وتأنس بها، لكن اليوم يجب عليه أن يسر ليثبت وجوده بحمل البندقية والقلم، ونرى أن الشاعر ذكر كلمة «وجود» كأنه يريد أن أنه موجود ويتخلص من الغربة الروحية التي يعيشها.
مقدمة الشاعر	"خطرة هذه المهنة مهنة الشاعر يفقد فيها الريش لكنه يصنع الأغاني"[3]	يفقد الريش، خطرة.	الشعراء منذ القدم يتعرضون إلى عدة محن بسب شعرهم، ولا يلقون ترحيبا من شعوبهم ولا حكامهم لأن الشاعر ناقد للواقع بكل تفاصيله وهو منبر الحقيقة. وهذا ما شعر به مالك حداد خاصة عندما يكون وسط العدو، وأهلك قد تخلوا عنك، فالعدو لا يقبل الكلام والنقد، لكن هذا الشاعر يخاطر بكل ما لديه ليصنع قصائد تغير مجرى التاريخ.
ممقدمة الشاعر	"سأخلع عليك اسما جديدا، سأسميك فن	روحه المتجسدة، بلدك، أتسمعني،	أراد مالك حداد أن يوصله للعالم أن الشاعر هو الإنسان؛ وروح الشعب ، لأن الشاعر هو من

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى ص5.

[2]- المصدر نفسه ، ص6.

[3]- المصدر نفسه، ص6.

	الشعب، روحه المتجسدة، فأنت أكبر من بلدك أنت أكبر من قارة..أتسمعني جيدا؟ أنت الإنسان.''[1]	الإنسان	يوصل صوت شعبه للإنسانية، فهذا يعني أنه أكبر من بلده ، والإنسانية موجودة في كل مكان في العالم وليس في مكان محدد.
	أربط قدميك بتراب الجزائر، التصق به، انتعله'' قدماك، قدما جندي، قدما الشاعر الجوال، وجدا قالبهما أخيرا''[2]	أربط قدميك، تراب الجزائر، التصق به، قدماك، الشاعر الجوال،	يبن الشاعر أنه لا فرق بين قدما الجندي و الشاعر ،كيلهما مرتبطان بأرض الجزائر ويدفعان عنها. كانت معظم أبيات هذه القصيدة عبارة عن نصائح يقدمها الشاعر لنفسه أو لصديقه كيف يدافع عن كلمته وواجباته تجاه وطنه.
	''أنا الذي أغني بالفرنسية، أيها الشاعر يا صديقي لا تلمني إذا صدمتك رطانتي، أراد لي الاستعمار أن أحمل اللكنة في لساني، أن أكون معقود اللسان''[4]	أغني بالفرنسية، تلمني، الاستعمار، اللكنة، لساني، معقود اللسان	وفي الأبيات الأخيرة كان الشاعر يتحسر على نفسه بسبب الاغتراب الوحي الذي يعيشه والذي أبعده عن لغته الأم إن تحَسُّر مالك حداد على لغته حمَّل المستعمر ذنب في ذلك في قوله»أراد لي المستعمر أن أحمل اللكنة..» وهذا من أقسى أنواع الاغتراب فهو مزدوج عند كل الشعراء الذين يكتبون بالفرنسية الذين «شكا عدد منهم من غربة التعبير باللغة الدخيلة هذه الغربة التي فرضت عليهم هوية غير مستقرة في الأدب»[3]وبالأخص مالك حداد الذي

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى ، ص7.

[2] – المصدر نفسه ، ص7.

[3] –الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير: نور سلمان، ص204، نقلا:

Dictionnaire des littératures ;phillippe van tieghen en collaboration avec pierre josseraand ; paris ;1968.

[4] – المصدر السابق ، ص8.

			أفصح عن غربته اللغوية بشكل مباشر في بعض انتاجاته الأدبية ولقاءاته الصحفية.
مقدمة الشاعر	"ستقول مالك هذا يستخدم كلمات فرنسية ما أهمية ذلك؟ يمكن أن تقال كلمة الجزائر بالغة الصينية بلى يا ارغون تلك هي مأساة اللغة لو كنت أعرف الغناء، لغنيت بالعربية"[1]	يستخدم كلمات فرنسية، مأساة اللغة، لغنيت بالعربية، مأساة اللغة	إن المأساة التي يتحدث عنها مالك حداد هي تكمن في هويته التي تربطه بأرضه والتي نسيها لا يستطيع حتى الغناء بها، وغن حبه للغة العربية وعدم التعبير بها جعلته يصفها بمأساة اللغة. رغم أن جل أشعاره تتحدث عن الجزائر إلا أنه كان يشعر بالتقصير في حقها، بسبب عدم معرفة لغتها ، وهذا ما يشعره بالاغتراب الروحي عن وطنه.

وإذا حصرنا الإِغتراب الرّوحي في مجموع الكلمات التي استعملها الشّاعرُ في مقدمة ديوانه فنجد(الشُّعور، التَّاريخ،الألم، كئيبا، أغني بالفرنسية، أحمل اللكنة، معقود اللسان، أترابي، مأساة اللغة، الوطن، الأرض، المراكب، الحرب...)

القصيدة الأولى: يجب أنْ نقتُّل الليل

تتجلى ملامح هذا الإِغتراب الرّوحي في بعض الألفاظ الّتي اعتمده الشّاعر:(تبحث، الصمت، الكلمة، الذِّكريات، فريسة اليأس، أمضغ فكرتي، المقبرة، الليل، الحياة رعدة الخوف، مر علي، تباد، الشقاء، ذكريات ملوية، أملنا محطما، الرجال المختطفين، مصنع جهنم، نسغ الحياة، عادات غريبة، أتمزق، بعيد، دموعنا، اليتيمة، وطني، السجن، أتمزق ذكرى، ذكريات جديدة، أبحث عن اسمي، الماضي غدٍ،أحلم...)

فيخطو الشاعر خطواته الأولى في هذا الديوان باحثا عن السمو، عن حياة أفضل كل ما فيها جميل بعيدا عن تلك الذكريات التي احتلت ذاكرته عن تلك الصور المحفورة في خلده محاولا بذلك قتل اليأس الذي استوطنه ومحاربة تلك الكوابيس التي يشتكي منها والتي تأبى إلا أن تزج به في سجن الذكريات الأليمة كلما حولت نفسه أن بمقدوره الخلاص منها، أنها ذكريات المجازر والقتل الشنيع والجرائم التي ارتكبها الاستعمار في أرض الجزائر، والتي

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص9.

ظن أنه بمجرد مغادرته هذه الأرض ستنقضي معها هذه الذكريات وسينقضي ليل الشقاء ليجد نفسه في شرك الاغتراب الروحي الذي عبر عنه-الشاعر- بعبارات متباينة وأساليب مختلفة والمعنى واحد وهو الاغتراب الروحي عن وطنه الجزائر في قوله:

''إني أدافع عن عطر الأزهار الذي ينتظر مني أن أبدعه

ولكنني في طائرتي اللعينة فريسة لليأس ''[1]

وفي ذلك كناية عن البلد الذي هو متجه إليه ومقته كل ما هو متعلق به ومقت فكرة الإغتراب عن وطنه، وإن الظروف التي ألحت عليه لاختيار هذا الطريق إلا أنه لا يجد لهذه الفكرة طعم- مغادرة بلده- ويعتبر ذنب اقترفه في حق وطنه وهو أنه لم يحبه بما فيه الكفاية لقد اعتنق حلمه بأن يصير هذا الأخير حرا لكنه كان حلما جزائري اضعف ذات الشاعر الرقيقة التي لم تكن لها طاقة على تحمل كل الأوجاع و استعابها، فحلمه كان مصاحب ليل الاستعمار الذي شرد روح الشاعر وأرواح أصدقائه بل شرد العروبة والإنسان في أرض الجزائر.

'' يجب أن نقتل الليل

يجب أن مقتله لتنبثق الحياة من وراءه''[2]

لينقشع الظلام وينشق الفجر وتنبعث الحياة، رغم الانكسارات و المطبات التي مرت بالشاعر كونه مواطن جزائري حالم، عثت بأرضه أيادي الطغاة التي صنعت:

"هناك مصنع جهنم الذي يقيمه صانعوا المغامرات السوداء

هناك مصنع الحياة الذي يواصلون قتله

هناك مذاق عادات غريبة تفرض بالقوة"[3]

في وسط هذه المأساة بأجزائها المختلفة يأبى الشعب إلا أن يعيش المهم أنْ يعيش حتى وإنْ كان مغتربٌ في أرضه مبعداً عن عروبته يتيم من جنسيته.

ويتصاعد شعور الكاتب بالاغتراب فينطق لسانه يقول:

"إني أتمزق ضجراً

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى، ص12.

[2] – المصدر نفسه،ص12

[3] – المصدر نفسه ، ص12.

كلما تذكرت أنني بعيد عن الجزائر"[1]

ويؤكد ذلك مرة أخرى:

"إني أحس السجن في قلبي مهما تخطى الحدود"[2]

لقد ضاقت روحه وهو يحاول أنْ يكون في حال أفضل ويرسم لنفسه واقع أفضل أو على الأقل أنْ يحلم بمستقبلٍ جميلٍ مختلفٍ كل الاختلاف عن ما عاشه في الجزائر، فيعتصر قلبه ألماً لحلم يرفض أن يولد ويتجسد في الواقع.

فنجد الشّاعر من أحلامه وحالة التّمزق الرّوحي والضّياع الممتزجة بأشعة الأمل ليزجّ به في أحضان الواقع التعيس يقول وهو يبحث عن أناه الضائعة.

"في كل الدروب التي تقود إلى النهار

أبحث عن اسمي بين شواهد القبور دائماً

عجباً، كيف يفتح الماضي أبواباً لغد أجمل"![3]

يبدع مالك حداد في رسم صورة اغترابه الروحي الذي يقتصر على فقدانه لاسمه بل كونه يقف حائراً كيف أنه يحيا مستقبله لكن الروح تعيش في ماضي فات، الماضي لا يرضى أن يكون مجرد ذكرى عابرة يطويها النسيان.

ماضٍ غدر ليله ونهاره ونفسه من أجل الحرية، ويقترب اسمه كل يوم من قائمة الصاعدين إلى الله فيستودع الله نفسه كل يوم بدمعة وروح منكسرة ويمضي حكم الله فيه بأن يقدر له عيشة كهذه تورثه الجزع وتنصب له مقعداً بين الموت والحياة بين السجن والحرية، فيبقى ممزقاً بين حاضر يعيشه وماضي تملك كل حياته فيشتكي اغتراب روحه ينتزع منه الحرية التي لطالما حلم بها.

القصيدة الثانية: سأعطيك النهار الجميل

نرى من خلال عنوان القصيدة أن الشاعر يبعث في نفسه الأمل. ونجده أيضا كثيرا ما يستعمل في هذه القصيدة المصطلحات الدالة على الأمل وفي نفس الوقت هو يفتقدها مثل(الشمس، السماء الزرقاء، البحر، صباح، الموسيقى، الأغنية، الفجر...) وهذه الأشياء يفتقدها في وطن الغربة ولا يراها إلا في وطنه وبذلك فإن توظيفه لها دال على الفراغ الوحي الذي يشعر به وأدى به إلى الاغتراب.

---

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد، تر: ملك أبيض العيسى ، ص 13.

[2] – المصدر نفسه، ص13.

[3] – المصدر نفسه ، ص13.

"الشمس..هل تريدين الشمس

هاهي ذي"[1]

إنّ الشمس التي يتحدث عنها هي الحرية التي يبحث عنها ووجدا عندما ذهب مجبراً غلى فرنسا و في هذا الموضع يتحدث عن نفسه إذا كنت تبحث عن الحرية هاهي.

"السماء زرقاء

البحر يقص عليا حكاياته

أنا أتجول في عينيك"[2]

مفردتا السماء، والبحر يعبران عن وجدان الشاعر والاغتراب الذي يعيشه في وطن الغربة، فهذه المفردتان غالباً ما ترمز للوطن.

"أسأل الموجة ألا تغرق

علها تنقل إلى وطني

حبي العظيم"[3]

من شدة الألم والاغتراب الذي يعاني منه الشاعر يسأل من ينقل حبه لوطنه؛ فاللغة خانته ويخاف أن يغرق له الموج حبه، فهو لم يعد يسمعه أحد غير البحر.

و واصل الشاعر في تصوير الحال الذي يعيشها في كل ما يدل على الاغتراب الذي يعيشه وارتبط بروحه ووجدانه؛ ومن المعلوم أن الموسيقى من الروحانيات لدى الشاعر، خاصة عندما تكون مرتبطة بالوطن وجاء في هذا المقطع:

"أيها الموسيقيون الجالسون على خشبة المسرح بدون موسيقى

يعزفونها

إنني أسمع الأغنية لم أكتبها

لقد سرقت الأغنية"[4]

---

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر: ملك أبيض العيسى ، ص14.

[2]- المصدر نفسه،ص14.

[3]- المصدر نفسه،ص14.

[4]- المصدر نفسه،ص14.

كل ما يعبر عن الاغتراب الروحي الذي يعيشه الشاعر ارتبط في ما حوله والموسيقى والأغنية التي يسمعها ولم يكتبها؛ فهذه الأغنية هي لغة وطنه التي لم يكتبها ولا يعبر بها.

"إني أستخدم كلمات تخرج من أفواه غريبة

إني يتيم القبل

أحس هذا اليتم كلما بدأ موطن الفجر بعيداً عني

ما أقسى أن يكون الإنسان يتيم القبل!"[1]

مالك حداد دائما ما كان يذكّر نفسه ويؤكد لنا بأنه لا ينتمي إلى لغته التي يتحدث بها»إني أستخدم كلمات تخرج من أفواه غريبة» أي تلك الأفواه الفرنسية التي تظل غريبة عنه، وبذلك يحس بغربته ويقول» إني يتيم القبل» أي إنه وحيد؛ ليس هناك من يؤنس وحشته في بيت الغربة.

"بعد اليوم لن يغني العصفور الصغير

أجنحته تحترق بعيداً عن الشمس"[2]

فالعصفور الصغير هو ذلك المغتّرب البعيد عن وطنه الذي هو الشمس؛ وهنا يقصد الشاعر نفسه الّتي تعاني من حرقة الإِغتراب الرّوحي بعيداً عن بلده، رغم أنّ هذه الّشمس تحرقه إلا أنه يشتاق إليها ويفضل أن يحترق قربها على أن يحترق وهو مبتعداً عنها.

"أنا أحب البلبل

لكنهم يريدون تعبئة أغانيه في اسطوانات"[3]

هذا البلبل هو صوت الشاعر الذي يريدون كبت صوته وحريته في الدفاع عن بلده، وهذا ما يعانيه الشاعر وكل المنادين بالحرية، وكل هذه الأحداث تحدث في وطنه المسلوب منهم و يؤكد ذلك في هذا السطر:

"وحين أرى هذا، أشعر أن الغابات

سطا عليها اللصوص"[4]

هذه الغابات ترمز إلى البلدان المستعمرة، واللصوص هم الاستعمار الغاشم.

---

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر: ملك أبيض العيسى، ص14.

[2]- المصدر نفسه ، ص14.

[3] -المصدر نفسه ،ص15.

[4] - المصدر نفسه، ص15.

"أريد أن أبتسم للأغنية

التي تعلن رغم كل شيء

عن غضبة مغنيها"[1]

يتوق الشّاعر أنْ يثبت للعالم أن مهما أراد المستعمر أنْ يمحي هويته؛ وحتى وإن لم تظهر في اللغة التي يستعملها فهي تظهر في معانيها ومضمونها؛ فالعربية حتى وإن لم يستعملها في تعبيره إلا أنه يشعر بها في داخله وقد ذكر هذا في روايته (سأهبك غزالة)» أنا عاجز أن أعبر بالعربية عما أشعر به باللغة العربية...إن الفرنسية لمنفاي..!»[2] فهي تعبر عن غضبه من المستعمر الذي سلبه أرض، وهو يبتسم لهذه الأغنية حتى وإنْ تجعله مغترباً عن وطنه.

القصيدة الثالثة:

أما في القصيدة الثالثة بهذا الديوان فيتحدد المعجم الدلالي لحقل الاغتراب الروحي في الكلمات الآتية: « لن ننّسى، مرَّ، أحتّفظ بأنشودتي، الماضي، الكلمة الأخيرة، أجدادي، يتراءى، كل مكان، الصّبر، تاريخ الوطن، فَصل، التمييز، حرمتني، لغة غريبة، وطأة الظلام، فقدت، زيفا، يلاحقك، أنك فرنسي، أتسمونني جزائرياً، تفتقد، أفتقد، آه...»

تدور الفكرة العامة لقصيدة المسيرة الكبرى حول أحداث الثامن من ماي الأليمة، يحاول الشاعر فيها الكشف عن ذلك الشعور العميق بالاغتراب الروحي عن وطنه ويعبر عن نفسه أنه ليس سوى كلمةٌ ختاميةٌ في قصة كبيرة بدأت، قصة تأخر في استيعاب معانيها، ورغم ذلك ما كان منه سوى أن واصل المسير، رغم أن هذا المواصلة قد تتطلب منه أشياء ما كان قد حظي بها ولم تتوفر فيه يوماً؛ لكنه اختار المواصلة فقط رغم كل شيء، ويقطع عهدا على نفسه فيقول في الصفحة 16:

"لن ننسى شيءً مما مرّ، لن نبدأ من الصفر

إنني احتفظ بأنشودتي نقية في عيني

وأتابع المسير، لا أنكر شيئا من الماضي

أنا الكلمة الأخيرة في القصة الهائلة التي بدأت"[3]

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد، تر: ملك أبيض العيسى ، ، ص15.

[2]- سأهبك غزالة: مالك حداد، تر:صالح القرامدي، دط، الدار التونيسة للنشر، 1986م،ص1،2.

[3] - المصدر السابق، ص 16.

وفي هذا كناية عن اِغترابِه عن جزائريتِه ولكن ليس عن قضايا وأحداث وطنية بما في ذلك مظاهرات الثامن من ماي 1945م كونه تثقف ثقافة فرنسية وبإتقانه اللغة الفرنسية بدلا عن العربية اِتسعت الهوى بينه وبين وطنه الأم وهموم ذويه، وزاد في الاِبتعاد عنه إلا أن يأتي يومٌ ليس كغيره من الأيامِ ينقشع فيه الظلام الذي زرعته فرنسا ويتكشف القناع عن الوجه المستور لها ليدرك الحقيقة، فينحدر-الشاعر- ويعود الشاعر إلى جزائريتِه وعروبته.

ولا ضير مادام أنه ليس هناك فرق بين من أفاق من غفلته حديثا وبين من كان صاحيا منذ البداية، المهم هو الشعور بالوطنية في تلك اللحظة وما يليها، وأن الحقيقة التي لا غبار عليها انه ابن الجزائر. يقول:

''مايزال البرنس الذي ارتداه أجدادي

البرنس الذي يتراءى أمامي في كل مكان

مايزال دثاري

مايزال استمرار الحياة في بيتي''[1]

فهاهنا يؤكد على انتمائه رغم أنه قد عاش حقبة من الدهر يوهم نفسه بانتمائه لفرنسا، لكنه ما يزال يحتفظ بشيء من شخصية أجداده و مازال يتدثر بلحاف أجداده والحياة لم تنتهي.

يجد الشاعر نفسه ممزقا لا إلى هؤلاء ينتمي ولا إلى هؤلاء إن نظرت إليه على أنه ابن الجزائر وجدت فيه بعضاً من الملامح الدالة على ذلك وإن رمقته مرة أخرى وجدت ذلك الإنسان الفرنسي بثياب أنيقة والمنظر البهيج. فهو كما يخبرنا عن نفسه» أنا المعلم في الحقيقة وأنا التلميذ»

لقد عصف بذات الشاعر ألم مرير ألم الانفصال والتشظي -هو الجزائري وهو الدخيل-، فليس هناك وجع أكثر إيلاما من أن تزداد سنين عمره ليقف أمام المرآة فيجد نفسه في صورة أمقت الأعداء في نظره فيغترب بروحه باحثا عن ذلك الشخص الذي كأنه ويحاول عبثا اعتناقه أو على الأقل التطبع به ولكن في كل مرة تبوء بالفشل فتبقى تلك الأحلام حبيسة الخيال يقول:

"كم أتخيل إنني كنت راعيا ذات يوم

وعندها يلتمع في عينيَّ هذا الصبر الطويل

صبر الفلاح وهو ينظر إلى يديه الصلبتين

فيرى فيهما تاريخ الوطن الذي سينبت البرتقال"[2]

[1]- سأهبك غزالة: مالك حداد، تر:صالح القرامدي ، ص16

[2] - الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص17.

ويسرح في الخيالات التي تروي وطنيته والتي عاشها متنعم بحياة مواطن عادي؛ يعتني بشجيرات التين والزيتون معبرا بذلك عن كلفه لما فقده في الحقيقة، ومحاولة إعادة الاعتبار لذلك الارتباط الروحي المفقود. كيف أصبح فرنسيًا، كيف انسلخ من شخصيته القومية وأحتل أناه شخصية الغير. وأي غير هذا؟ إنه العدو يقول وهو في قمة حزنه :

"أبي...يا أبي!

لماذا حرمتني

تلك الموسيقى المنسجمة من لحمي ودمي؟

أنظر إليَّ

ابنك الذي يلقن أن يقول بلغة غريبة"[1]

كيف امتدت سلطتك لتمزق خيوط الوصال بيني وبيني وتنفيني عني وعن:

"تلك الكلمات الحلوة التي عرفها

عندما كان راعيا"[2]

ليجد نفسه في غير ما مكان في عتمة المنفى محصوراً بين العجمية والعروبة، العروبة و العربية اللتان سكنتا روحه لكنه في منء عنهما بعد أن اختار له أبوه طريقا غيرها وهو ما جعله يشكو اِغتراباً مريراً، كيف له أن يخاطب الناس بغير لغته ؟كيف سيخاطب أمه بالوصف الأعجمي؟ لقد فرق بينه وبين ما يهوى يقول:

" أماه...يمّة!

هل يمكن أن يكون اسمكِ مامير

برنسي فقدتُ و بندقيتي وقلمي

وحُمِّلتُ اسما أشد زيفا من مظهري" [3]

القصيدة تعكس بوضوح اغتراب حداد الر|وحي فنجده في أماكن كثيرة يسترسل في الحديث عن انتمائه إلى الجزائر وفي بعض الأحايين يعد نفسه فرنسيا، ثم لا يلبث أن ينقض ذلك كله، لكنه لا يغادر الحنين أبداً إلى بلده وتنعكس هذه المعانات في السطور الأخيرة في القصيدة حين يتحدث عن نفسه مرة بضمير الغائب –هو– ومرة بضمير المتكلم –أنا– يقول:

[1]– الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص17.

[2]– المصدر نفسه، ص17

[3]– المصدر نفسه ، ص 18.

"فهو كما تفتقدُ الغاباتُ أفواجَ العشَّاقِ

...

كما يفتقدُ الشِّراعَ المركبُ الذي ينّطلقُ

...

كما تفتقدُ العائلة فرداً منها

...

كنتُ افتقدُ أشياءَ كثيرة"[1]

فكل هذا التمزق الذي يعانيه الشاعر هو اجتماع شخصيتين متناقضتين في شخص واحد، شخصية عربية و أخرى أعجمية، لكنه ينتصر في آخر المطاف إلى جزائريته؛ فرغم اختلاط الأمر عليه إلا أنه يبقى هناك شعور داخلي يشده إلى بلده، هذا الشعور الذي يجعله يثور على ذلك الفتى المستيقظ في داخله ويجعله دائم الرغبة في الانتقام منه، ساعيا إلى استرجاع شخصية الراعي الوديع المتمثل في شخصية أجداده.

ففي هذه القصيدة نجد أن كيان الشاعر تتنازع فيه شخصيتين متناحرتين يصعب ضمهما في جسد واحد هما:

1-المزارع البسيط الذي سيكون فيما بعد المجاهد الذي يهب نفسه فداء للوطن.

2-المثقف الفرنسي السّاخط على فرنسيته؛ الذي يستشعر انتماءه لوطنه الجزائري تلك القيمة المفقودة التي سبب خسرانها هذا التمزق وهذه الحالة الاغترابية للكاتب.

القصيدة الرابعة:

تحوي هذه القصيدة على 16سطراً فقط وذكر فيها مجموعة من المدن التي عرفت حرب دامية وخرجت منها منتصرة وخلدها التاريخ مثل مدينة مدريد الاسبانية، ومدينة سيئول التي عرفتا دماراً هائلاً خلال الحربيين العالميتين، ومدينة غرونوبل الفرنسية التي يقع فيها نصاً تذكارياً تخليداً للثورة الفرنسية؛ وقد ذكره الشاعر في هذه القصيدة، وذكر أيضا الهند الصينية التي تتقاسم مع الجزائر نفس المعاناة مع الاستعمار الفرنسي.

"والسيمفونية الحمراء التي عزفت لنواب مدغشقر

أعرف جيدا كيف ينفى السلطان، وكيف يسجن الشيوعي"[2]

[1] - الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص18.

[2] - المصدر نفسه ، ص20.

وفي هذا المقطع نرى أنه ذكر السيمفونية الموسيقية وغالباً ما ترتبط بألوان مختلفة؛ وكانت هذه السيمفونية حمراء ومنه دالة على الحرب والمعاناة، ومعاناة المنفى والسجن، لأن كل مؤثر والداعي إلى الحرية ينفى أو يسجن.

''ولكنني أعرف الآن جيداً

أننا نحتكر وحدنا الشقاء و الآلام'' [1]

رغم كل هذه المعاناة؛ إلا أنه هو من يشعر بالألم والشقاء مع الذين يعيشون مثله اغتراباً روحياً، فلا يوجد من يقاسي مرارة اغتراب مزدوج إلا الذين لا يعرفون كيف يعبرون بلغتهم عن حبهم لوطنهم، وفي نفس الوقت يعيشون بعيداً عنه.

القصيدة الخامسة:

وهاهو يرثي نفسه التي ذابت عشقا في سبيل بلد اضطرته الأقدار إلى هجره ويتمه الزمن من دفئ وطنه والأحلام التي رسمها على صفحات من كتاب الجزائر؛ فيلجئ للماضي ويرضاه سجاناً من أجل التنعم بذكرياته حين كان فرد محبوبا فيه يقول:

"يوم كنتَ تحبُني...كنتُ ملك أيار

عاشق النسمة الوادعة اختار العاصفة

أختار الابتسامة

لأطهرَ بكائي من عذابِ الأحزان التي يقصونها عليَّ

لأجعل الشقاء يطفو أخيرا على صفحة تيار"[2]

فلا يلبثْ أن يربطنا بشهر ماي ليقول إنَّ الذكرى ما تزال متقدة في خلده أنه ابن الجزائر المندفع نحو الموت من أجل وطنه، محاولا تناسي أنه اختار طريق مخالف تماما، ليستيقظ على حقيقة منافية تماما لما حلم به حين كان يتمنى أن يكون جزائرياً متميزًا و مواطناً صالحاً. فتخبره الأيام أنه محض هجين ناقم على فرنسيته يترنم بمعزوفات الماضي مستمتع بنقائها ولطافتها رغم ألم الاستعمار وتعسف. يكون ثمرة معاناته أشعار رقيقة المعاني نستشف من خلالها اِغتراب شاعرنا الروحي.

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيس ،ص 20.

[2] – المصدر نفسه ، ص21.

وبأساليب رومنتيكية[1] تعكس رهافة حسه التي جنت عليه وقدرت عليه عيشة النكد هذه يقول في الصفحة 21:

"المطرُ يتساقطُ فوقَ الشَّمسِ التي تجفف ابتسامتها

المطرُ يتساقطُ على يدِ الماضي

حين كنتُ ملك أيار

المطرُ يتساقطُ على حبي

حبي الذي لم يعد له ما يهمس به"[2]

يخبرنا عن مخاوفه من فقدان ذلك الرابط الذي يشده بماضيه، فهو لا يريد أن يغتسل قلبه من ذلك الحب لا يريد أن يسلم قلبه لغير الجزائر، لا يريد لتلك القصة العتيقة أن تنتهي، القصة التي تروي وطنيته.

القصيدة السادسة:

تشكل الموسيقى للشاعر الصوت الذي يعبر عن ما يلج في داخله من اغتراب روحي، وتمثل الموسيقى الشعر الذي يكتبه والأعمال الأخرى، فهي مساوية للحب العظيم الذي يكنه لوطنه والذي لانهاية له.

"لا حقيقة سوى الموسيقى والحب العظيم"[3]

وبعد أن شبه قصيدته بالموسيقى ها هو يعبر عن وطنه كأنه نشيد

"في صباح يوم ضاحك، تعرفت على نشيدي

كان متعباً حزيناً"[4]

الوطن الذي كان متعباً أنهكه الحرب والدمار؛ تعرف إليه كأنه لا يعرفه من قبل؛ لأن الغربة واللغة الفرنسية التي يعبر بها أنْسته وطنه.

"حينئذٍ أطلقت صوتي

كان عليا أن أنادي

---

[1] – تم الإشارة إلى معنى المصطلح سابقا

[2] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص21.

[3] – المصدر نفسه، ص21.

[4] –المصدر نفسه، ص22.

الهالة التي تحيط بي ليس إلا غيمة عابرة"[1]

الهالة التي تحيط به هي فرنسا المغترب بها أو اللغة الفرنسية التي يعبر بها ليست إلا غيمة وستمر؛ وسيعود إلى وطنه

القصيدة السابعة:

لقد انجرف حداد – كغيره من الأدباءِ والسياسيين المثقفين ثقافة فرنسية- مع السيل عكس التيار الوطني، وسلك مسلكا لم يختره لنفسه؛ مسلكا كان محظوراً على من يحمل في قلبه ذرة من الشعور بالامتنان والنخوة تجاه وطنه انتهاجه، فأفضى به إلى الوحدة وأورثه الشقاء يقول:

"وهناك يقف العصفور وحيداً

يحرسه

ينقل روحه

إلى ركن حالم"[2]

فلا يجد له وسيلة ليعبر بها عن ما ضُيِّع من شخصيته المطموس عليها إلى بعضا من نظمه المتقد حبا لبلدا نذر روحه له، حتى وإن كان ما يبدعه مخطوطاً بلغةِ الغربِ، فلا ملجأ له إلا هذا الركن الشديد يأوي أليه عله بذلك يخفف عنه بعضاً من آلامِ الاِغترابِ.

فنجده يشبه نفسه مرة بالغريق وأخرى بالعصفور وكلاهما لا يملكان لنفسهما حول ولا قوة في مصيرهما فالأول تغادره الروح وهو يصارع من أجل الوصول إلى برِ الأمان فيموت ولا يبقى من إلا جثة هامدة تطفو لتخبر الأحياء عنه، والآخر الذي إما أن ينقادَ خلف السربِ أو يقع فريسة للمتربصين والذي كثيرا ما تُسْلَبْ منه حريته ليوضع لزينة في مكان لا ينتمي إليه؛ ليعكس لنا بذلك مدى ضعفه وانكساره وقلة حيلته أمام موقف جرته الأقدار عليه.

القصيدة الثامنة:

"الآن يبدأ تاريخي

حياتي الماضية كانت ما قبل تاريخي"[3]

---

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص22.

[2] – المصدر نفسه ، ص22.

[3] -- المصدر نفسه، ص23.

التاريخ هو من يعبر عن حياة الإنسان؛ فالشاعر يعتبر تاريخه و يبدأ مع تاريخ نضاله مع شعبه من أجل الحرية، وأن حياته بدأت عندما يعبر في أشعاره عن وطنه.

"سأؤدي رسالتي

تلك هي مهمتي

إنني أغني عن قناعة ومبدأ"[1]

رسالة الشاعر واضحة وهي حبه لوطنه، ويعتبرها مهمة واجبة عليه حتى لو لم يقبلوها بسب اللغة التي يكتب بها لأنه يعتبرها قناعة ومبدأ.

"سأؤدي رسالتي

وليس على الأرض إلا الإصغاء"[2]

الشاعر على قناعة أنَّ هناك من يسمعه، الأرض التي يدافع عنها هي من يجب أن تسمعه بعد أن تنكر له شعبه.

القصيدة التاسعة:

ركز مالك في قصيدته هاته على بعض الألفاظ التي تنصب في الحقل الدلالي للِاغتراب في نحو:» أعود، أبتعد، شاعر، يموت، بعيداً «.لقد ضاق ذرعا بسجن الِاغتراب الذي يحصره في دائرة لا مجال لنفذ منها لقد اختار أن يحيا في زمن الموت لكنه يكتشف أن الحياة التي اختارها موت على شاكلة مختلفة، ينال من فرائسه بطريقة أكثر وحشية ومهانة لضحيته. يقول:

"كلما سرتُ أراني أبتعد

مبرراً حياة الأغبياء

يموت من يحيا"[3]

شاعرنا يتجرع كؤوس شقاء جنى عليه ،كلما حمل نفسه عناء الاقتراب إلى مبتغاه تاهت به الخطى في غير ما طريق وابتعدت به أكثر، وشق عليه بلوغ المراد فيولد ذلك في نفسه حسرة وضيق فيبدو كالإنسان المحتضر لا

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص24.

[2] –المصدر نفسه، ص24.

[3] – المصدر نفسه،ص25.

هو بالموت فيرتاح ولا بالحياة فينطلق، يراه المبصر حراً لكنه في حقيقة الأمر عاجز طوقت معصمه أغلال لا تدركها الأبصار.

وهو بعيد عن وطنه يقول:

"من البلاهة أن يموت الإنسان

بعيداً عن قبره"[1]

هو في مكان لا ترتاح به نفسه ولا يشعر بالِانتماء إليه، ولا يرضى لأرض أن تحتوي جسده إلا أرض الجزائر، لا يريد لجثته أن تدفن بأرض الغربة كما قبرت روحه أجواء الغربة بل اعتبر ذلك ضربا من الغباوة.

القصيدة الحادي عشر:

كثيرا ما نلتقط الصورة لتخليد الذكرى وتقييدها لنسعد بها مرة أخرى بعد أن يمر عليها برهة من الزمن حين نعود لتلك الصور ، فتتحرك العواطف من خلالها؛ فنبتهج ونسرُّ. لكن في أغلب الأحيان وعند غالبية الأشخاص فإن العودة لمشاهدة بعض الصور يفجر الأحاسيس لتتحول إلى نار تستعر في داخل الإنسان.

وفي الغربة الخانقة لا يجد الكاتب عزاءه إلا من خلال الصور التي تقيدها الذّاكرة، يقول حداد وهو يغادر أرضه الجزائر:

"تَذَكَّرُ الْطُرُقَ الزَرْقَاْءَ

كَاْنَ الْبَحْرُ وَاْدِعَاً

وَالْجَبَلُ يَحْمِلُ اِبْتِسَاْمَتَهُ الْفَظَةَ عَلَىْ شَفَتِيه

كَاْنَتْ يَدُكَ تَرْتَعِشُ كَغِّمٍ مُطْبِقٍ"[2]

فيأنس الشاعر بالذكرى حين تتحول إلى لحظات مسطرة، تمكنت من قهر الزمن لتحتفظ ببعضٍ من رونقها وبهاء طلتها، فما إن يستدعيها الشاعر حتى تعبر في شريط الذاكرة تتراقص كأنها خلقت بأمس.

لقد أصبحت هي الحقيقة والحلم في الآن ذاته، حقيقة ودَّعَهَا منذ سنين واندثرت تحت قذائف المدافع الفرنسية، ولم يَعُدْ هناك وجود للجنة التي لطالما تغنى بها حداد في شعره ولم يبقَ من ذلك الجمال كله إلا اسمها، لكنه مؤمن بأن موعد اللقاء قريب يقول:

"عِنْدِمِا يِغْفُو المِسَاءُ فِيْ عَيْنَيّ

---

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى، ص25.

[2]- المصدر نفسه، ص27.

لَاْ أَحْلُمُ أَبَدَاً

إِنِيَ أَذُوْقُ طُعْمَ الفَجْرِ قَوْيَّاً فِي هَذَا الشَلَّال"[1]

فحتى المساء الذي يشكوه الشعراء، والذي يحرك الأوجاع و الالآم الروحية والجسدية لا يقهر روح الشاعر بل يجد نفسه مؤمنا بانبلاج فجر جديد، فيأوي إلى قرطاسه و أوراقه ليؤنس وحشته بهم، ويرد عليه روحه التائهة في تلكم الذكريات.

القصيدة الثاني عشر:

بدأ الشاعر «بالأم» في هذه القصيدة ويقصد بها الجزائر» إني معها كل يوم..يسمونها بيجو»[2] ، يقول أنه معها كل يوم رغم أنه يثبت أنه في فرنسا ؛ ويعني أنه محاط بالفرنسيين الذين يعتبرون الجزائر ولاية فرنسية واسمها بيجو؛ وهذا ما يعبر عن اغترابه الروحي الذي يعيشه في فرنسا، ثم يستدرك ويقول «لكن اسمها الحقيقي عربي»[3] مع كل هذا الظروف المحيطة به إلا أنه يثبت أن الجزائر عربية وهو متيقن أن فرنسا هي التي اغتصبت بلده ولغته.

القصيدة السادسة عشر:

في هذه القصيدة يعبر الشاعر عن كل ما يختزل اغترابه الروحي الذي يعاني منه؛ وكل ما يعبر عن علاقته بالأرض وكل العبارات التي يميز الجزائر(سنابل القمح، الينبوع، الجرار الصغير، حقول القمح، الخبز، مواسم الحصاد، أرض الجزائر، صوت الفرح، شقائق النعمان،حاكورة القمح الأطفال...)

وما يعبر عن اغتراب الشّاعر ومأساته التي يعيشها في كل مرة يذكر فيها «الأم» التي هي أرض الجزائر، أرضه التي يحن إليها ولا يستطع التعبير عن ذلك لأنه يحمل في لسانه لغة أخرى.

''ابكي يا أماه

جدير بالدموع هذا الصغير الذي أصبح ابنك

منذ أن اهتدى أن يناديك بأمي!''[4]

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى، ص 27.

[2] -– الصدر نفسه، ص28.

[3] – الصدر نفسه ،ص28.

[4] – المصدر نفسه، ص34.

القصيدة الثامنة عشر:

لقد اختصرت هذه (القصيدة)[1] معاني الاغتراب حيث قدم لنا الشاعر الآلام التي يعيشها وهو يخطو كل خطوة في بلاد الغربة، حتى إنه يرثي قدماه في طريق يتخطاه ولا يؤديه إلى أرضه وموطنه، «فإني أرثي لأصابع قدمي..أين منها طريقها..» ، رغم كل ما يعيشه في الغربة إلا أنه ينتظر بفارغ الصبر العودة لأرض الجزائر حيث تنتظره أمه، وكتب اسم الجزائر بطريقة صريحة الذي تعبر عن حبه الكبير لوطنه. «سأسمها داري التي تنتظرني أمي بصبر نافذ»

وفي موضع آخر يعبر عن استعداده للكفاح وسيتجاوز كل المحن للوصول إلى الحرية»إليك يابلدي سنجتاز الحصى البيضاء في كل قاع».

القصيدة الواحدة والعشرون:

لقد عاش حداد حياة التمزق بين ضدين لا يلتم الشمل بينهما، فكان كغيره من الشخصيات المثقفة بالثقافة الفرنسية، لا يقدر على أن ينهي الحرب التي تشنها فرنسا على أهله وبلده وليس باستطاعته نصرة بلاده إلا من خلال هذه الكلمات التي يسطرها في شكل قصائد ونصوص نثرية يبغي بها نشر السلام وحفظه. يقول في نتفة من ثلاث أسطر:

''أرأيت أشد سخفا من لقبي في الحرب

إنه الحمام

يا للمهزلة''[2]

من خلال هذا المعنى البليغ يترجم شاعرنا ذلك الشقاق بينه وبين نفسه-بين مالك العربي الجزائري وبين مالك المثقف بالفرنسية-، وهنا يجد حداد نفسه سفيرا لسلام لقب لا عيب فيه لكنه ليس في الزمن الصحيح ولا لشخص الصحيح، فيدخل في صراع مع ذاته إذ كيف له أن يرضى لنفسه أن يكون كذلك وهو المقتول والقاتل وهو الذئب والغزالة في الآن ذاته، فلا يجد ما يعلق به على نفسه إلا بالعبارات الساخرة المعبرة عن ذلك الاغتراب الروحي المرير الذي يمزقه فمتى يحل السلام بروحه؟.

القصيدة الثاني والعشرون:

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص 39،40.

[2]- المصدر نفسه ، ص43.

القصيدة عبارة عن تناقضات التي يعشها الشاعر فهو الذي في يده الخريف الذي حل على الجزائر ألا وهو الاستعمار في قوله» الخريف في قبضة يدي».

وفي نفس الوقت يبكي دموع الوطن الذي سلبه منه الاستعمار»وأنا أبكي عبر دموعك» وكان أول انتصاراته التعبير بلغته ونسيان لغته الأم، ويعود ويرثى نفسه بالذكريات التي تحسسه بالاغتراب الروحي فيذكر (البحر وأشجار الصنوبر والصيف..)[1]

القصيدة الثالثة والعشرون:

لقد كان حداد شديد التعلق والارتباط ببلده رغم ابتعاده عنها وعن ما يميزه كإنسان عربي، ورغم أنه كان حرفي اختباراته في فترة من الفترات حياته غير أنه لم يفقد ذلك الكائن الجزائري المختبئ في أعماقه ولم تنسيه حياة الرقي والحضارة المزدهر في أقل ما تتميز به بلده ويقول:

'' هذه السماء ليست إلا كفناً هنا

ولكنها في بلادي مشعل يتقد''[2]

اللوحة التي اعتاد على تأملها واستلهم أفكاره منها ما هي إلا كفن يبعث على الضجر كناية على اللون الأبيض الذي صبغها به دخان المصانع والسيارات فأفقدها جمالها، لكنها في بلاده غير ذلك فمع أنها ما تزال على طبيعتها، إلا أنها تمطر قذائف وتلمع بنيران المدفعية، فإن كانت الأولى كفن ففي بلاده هي الموت بعينه لكن روحه لا ترتاح إلاّ في بلاده، وإن كان محاصر بالمآسي والشقاء.

وفي دوامة الشقاء والاغتراب هذه يحدثنا الشاعر عن نفسه أنه كان له رفيق لكنه اختيار هذا الرفيق أن يفقد رفيقه ليشير بذلك مرارة الفراق و قساوة الأيام وصعوبة الموافق.

'' أخبروني عن القبلة التي حرمت منها

قولوا لي شيئاً عن الصحراء

التي استمد منها أناشيدي

أخبروني عن غزالتي التي قتلوها

عن زهرتي التي حرموها من البستان''[3]

---

[1] – الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص44

[2] – المصدر نفسه ، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص47.

فهو يتخبط في التفكير ويتملكه الفضول عن كل تلك الأشياء التي تذكره ببلده ويتابع كلامه قائلاً:

«ولكن

قبل كل شيء اخبروني

كيف هي حال الجزائر»[1]

وهو في بلاد الغربة التي يعتبرها كمنفى له لا يغادره الشّوق والحنين إلى دياره ولا يهدأ له بالاً حتى تقر عينه بها وتلامس روحه نسائمها ويسعد فيها برفاق طفولته ممن فرقت بينهم فرنسا و باعد بينهم الزمن.

القصيدة الرابعة والعشرون:

بدا الشّاعر في هذه القصيدة كأنَّه يبرّر لوطنه سبب غربته المفروضة عليه؛ فشبه نفسه بالعصفور المتحول» سأهبك هذا العصفور المتموه» فهو الذي يحمل هويتين في الخارج يعتبر فرنسياً وفي الداخل يحس نفسه جزائري الأصل والهوية؛ وبعدها يهبه قلبه لكنه لا يعرف القتال.

لقد بلغت فجوة الإِغتراب الرّوحي في نفسه حتى إنه لا يعرف إلى أين ينتمي «حينما تعرفت على قلبي ...بدا لي ضائعاً غريباً» ، حتى إنَّه شبه نفسه بصبي صيني صغير وضائع؛ فهو يحس حتى ملامحه لا تعبر عن كونه جزائري.

القصيدة الخامسة والعشرون:

"وعاد السلم

ستقول الحمامة

دعوني وشأني

سأعود عصفورة شاعرة"[2]

ختم مالك حداد ديوانه، بهذه الأسطر التي تعبر عن هذا الشقاء الذي يتحدث عنه طوال هذا الديوان، فهذا الشقاء الذي يكابده البعض ويتمتع بنتائجه البعض الآخر الذي كان بعيداً كل البعد عن الثورة، فعندما يعم السلم سيخرج بعض الذين خانوا الوطن ليقولوا أنهم ضحوا من أجل الجزائر في قوله:» ستقول الحمامة..سأعود عصفورة شاعرة»، هذا العصفور الذي يتحدث عنه من خلال الديوان هو نفسه، فبرغم من ابتعاده عن وطنه ونسيان لغته إلا أنه بقى رافضاً للاستعمار رغم إحساسه بالاغتراب عنه.

[1]- الشقاء في خطر: مالك حداد،تر: ملك أبيض العيسى ، ص47.

[2]- المصدر نفسه ، ص49.

د–اغتراب الشاعر من خلال الألفاظ الأكثر استعمالا:

ونخلص في النهاية إلى جدول إحصائي لأكثر الكلمات التي توحي أو تلمح إلى اغتراب الشاعر الروحي:

الكلمة	عدد التكرار	النسبة المئوية
الجزائر	15	14.56%
الشقاء	18	17.47%
التاريخ	9	8.73%
الإنسان	11	10.67%
الوطن، الأرض، بلاد	27	26.21%
الأم	10	9.7%
اللغة الفرنسية	9	8.73%
اللغة العربية	4	3.88%
المجموع	103	100%

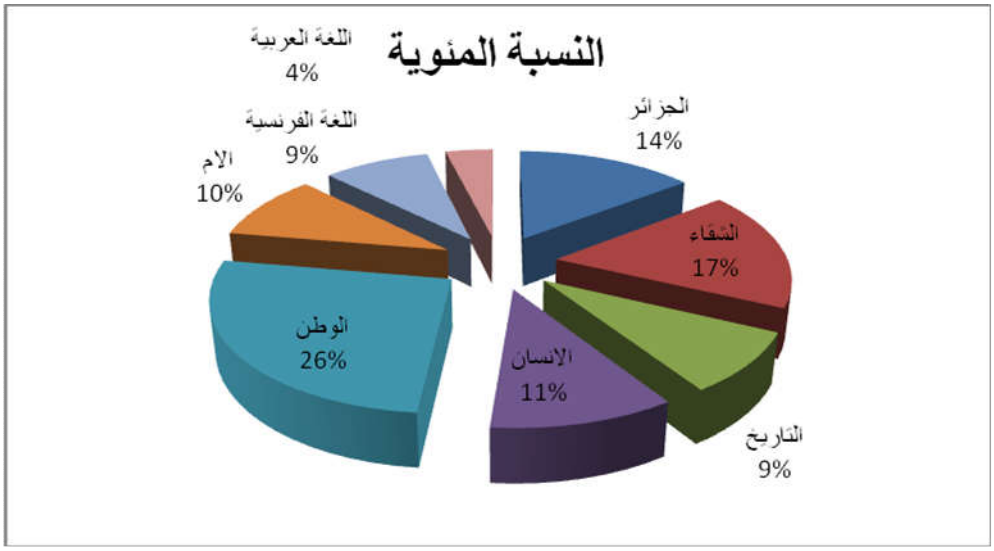

نرى أن مالك حداد قد استعمل أكثر الألفاظ الدالة على علاقة الإنسان بوطنه وأرضه؛ فقد استعمل كلمة «وطن» وكل العبارات الدالة عليه أكثر من 26%من كلمات الديوان وهذا ما يحيلنا إلى أن الشاعر يعيش في زمن الحرب والاضطهاد، ونجد أيضا كلمة «الشقاء» وهي الكلمة المحورية في الديوان باعتبارها العنوان الأول له،

وكلمة«الإنسان» التي تعبر عن المساواة في الإنسانية والتنديد بالحرب التي يشنها الإنسان ضد نفسه، وكلمة «التاريخ» التي تحيلنا إلى معرفة الماضي والتغني به.

ثم تأتي بعد ذلك «الجزائر» بلغة صريحة؛ فقد استعملها لأكثر من 14% وهذا إنْ دل على شيء فإنّما يدل على فقدانه لوطنه وإحساسه بِاغترابه الرّوحي عنه؛ وفي نفس الوقت يريد أن يثبت بأنه جزائري الأرض والهوية، وتتقاطع هذه اللفظة مع كلمة « الأم» تارة يقصد بها أمه؛ وتارة أخرى يقصد بها الجزائر ، ونأتي إلى الكلمات التي تبين وبشكل واضح مدى غربة الشاعر عن لغته ووطنه وحسرته على نفسه التي لا تجد من يواسها في مأساته إلا البوح بهذه الكلمات؛ فقد أورد كلمة اللغة الفرنسية 10% في استعمالات ثائرة أو ساخرة من ما هو عليه، واللغة العربية 4% التي كانت توحي سياقات التي استعملت فيها بتمسكه واعتزازه بها؛ وهذا دلالة على أنَّه يبرئُ لنفسه ولوطنه أنه يحب العربية ولكن لا يستطيع التغني والتعبير بها فقد وقفت الفرنسية بينه وبين لسانه ولم يكن بمقدورها أن تحكم قبضتها على قلبه، بالإضافة إلى كلمات "بعيد" و" منفياً" و"أبكي" التي ازدحم بها الديوان.

فكان مالك وفيا لهذا الوطن مشدوداً إليه حتى آخر نفس له فالكتابة بالفرنسية ما هي إلا تعبير «عن سلطة المستعمر الكامن فينا، الذي يمكن رفضه سياسياً أو عسكرياً»[1]

وبذلك فإنَّ الشّاعر عاش منفياً عن الجزائر ومنفياً عن لغته؛ وهذا ما جعله يعيش اِغتراب مزدوج اِغتراب كان العلة فيه مأساته اللغوية واِغتراب سببه نفيه عن قوميته أولا ثم ابتعاده عن الوطن، ولهذا فهو لا يكف عن الكفاح الفكري لإبداء تمسكه لما سُلب منه والجهاد بقلمه في سبيل محبوبته الجزائر ولهذا جاء هذا الديوان معبراً عن مطامح وأهداف الثورة والشعب الجزائري ومعبراً عن الإنسان الجزائري الحر، فبقيت كتاباته في مجملها تعبراً عن رفضه القاطع للاِستعمار الفرنسي.

[1]- الإبداعات المغربية باللغات الأجنبية بين سلطة اللغة وسلطة الهوية: فؤاد علي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد80، دس،ص133.

خاتمة

خاتمة:

لقد كان مالكُ شاعر جزائر العروبة، والبوق الذي أسمع من خلاله أنَّات شعبه ، في زمن سعت فيه سلطات الاستعمار الغاشم لتستر على حقيقة فرنسا الوحشية، فعبر بكل أمانة وعمق وفنية متقنة، وبأسلوب يلامس الأعماق ليكشف الغطاء عن ذلك الزيف ببعض ما أوتي من لغة العدو نفسه،

وفي ختام هذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط الآتية:

1-مفهومُ الاِغترابَ في الاصطلاحِ لا يختلف كثيراً عن معناه اللغوي، فقد كادت المعاجم القديمة أن تحصر الاِغتراب في بعدِهِ الجغرافي فجاء بمعنى مفارقة الوطن، والاِبتعاد عن الأهل، لكنه أخذ بعده الرُّوحي في المعاجمِ الحديثة؛ إذ عُرِّفَ على أنّهُ اضطرابٌ نفسي وقلق روحي يجعل الفرد يحس بالاِغتراب عن نفسّه وعن مجتمعه.

2-عاشت بلادنا جملة من الاِضطرابات في الحياة السِّياسية على فترات زمنية مختلفة، دفعت في أغلب الأحيان بالفرد الجزائري إلى الفرار خارج بلده أو العيش مغترباً فيه، وكان لهذا تأثيرا على الإبداع الأدبي بصفة عامة وعلى الشعر والشعراء على وجه التخصيص، فبرزت للوجود وجوه أدبية تحكي تيه الإنسان الجزائري في خضم هذه التَّغيرات.

3-أما في الشّعر الجزائري القديم فلا نجده ينطوي على الاِغترابِ الرُّوحي؛ إذ لا نعثر فيه على ألفاظ صريحة دالة عليه إلا في بعض المقاطع الصوفية، لكن يمكن أن نتحسس بعض المعاني الدالة عليه. وفي المقابل نجد أن الشعراء قد كتبوا عن الغربة؛ هذه اللفظة التي تبدو قريبة لمعنى الاِغتراب لكنها مختلفة عنه.

4-أما عند جزائريي العصر الحديث من الشعراءِ فقد ازداد الاِغتراب الرّوحي شيوعاً في أعمالهم خاصة إبان الاِستدمار وبعد الحربين الكونيتين حيث وجد الشاعر الجزائري نفسَه ممزقاً إما من جراء تطبيق قانون التجنيد الإجباري أو النفي أفي ظل التوتر المتصاعد وتأزم الأوضاع الاجتماعية والنفسية للأفراد أو بسبب السياسة الفرنسية الساعية إلى فرنسة الشعب وطمس الهوية الوطنية. كما يمكن أن يكون راجع إلى ظهور بعض المذاهب الأدبية كالمذهب الرمنسي والسريالي وغيرها من الاتجاهات التي تصدح باغتراب روادها.

5-أنّ الشّعراءَ الجزائريين النَّاطقين باللسان الفرنسي لم يكونوا بمنأى عن الأزمات التي عصفت بالبلاد وهذا ما دفعهم إلى تبني قضايا جزائرية في أعمالهم معبرين بذلك عن الاِغتراب الروحي الذي ألم بهم من جرّاء كيد فرنسا ضد أبناء الجزائر.

6-وعن شاعرنا-مالك حداد- فقد عاش بروح عربية جزائرية وجعل نصوصه متنفس لغربته الروحية التي قدر لها أن تعيش في جسد لغوي أجنبي، وهو ما دفع بثلة من النقاد إلى رفضه واعتباره أدباً فرنسياً أو بالأحرى أدبا هجيناً وهو الأمر الذي جعل بعضاً من هؤلاء يتردد في الكشف عن حقيقة الانتماء القومي له.

7-أنَّ الدّيوان من أول كلمة خطت فيه –العنوان- إلى آخر ما تُلفظ به فيه صاحبه كأنه معزوفة حزينة تحكي عن ذلك التمزق الذي عاشه مالك حداد.

8-يبدو الكاتب حريصا كل الحرص على ربط معاني القصيدة بالوطن وإعطاء كل لفظة حمولة دالة على ذلك الارتباط الوثيق بينه وبين بلده الجزائر رغم التحديات التي تواجهه.

9- الإِغتراب الذي كابده شاعرنا لم يكن العلة فيه غربته عن دياره لوحدها ولا إِغترابه عن لغته الأم ولا فقدانه الأهل والأصحاب ولا ابتعاده عن جلسات السمر وأجواء الوطن فحسب، ولا لكونه لم يجد ذلك المنزل الرحيم الذي يؤويه أو أصحاب يبادلونه الودَّ في غربته؛ بل هو حالة ميتافيزيقية قد تعود لأسباب وجودية متراكمة عاشها فدفعت به إلى حالة من الإِغتراب الرّوحي تملكته وراحت تتحكم فيه وتفرضُ سيطرتها على جانب اللاوعي للأديب فينساب من تحت أنامله كلمات توحي بهذه الحالة الشعورية ألا وهي الإِغتراب الرّوحي.

وفي الأخير نتمنى أن يلتفت لهذا النوع من الأدب وإحاطته بالإِهتمام المستحق والتنقيب فيه عن مواضيع جديدة للدراسة فهو بحر لم يخض عبابه إلا بعض من الصحفيين أو الباحثين أو المترجمين، ولا ندري سبب تهميشه الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية والتركيز على الكتابات النثرية من هذا النوع الأدبي في جامعاتنا مع أنه يبدو أكثر ثراء وجمالية من هذا الأخير.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم **برواية ورش عن نافع**

1. الإبداعات المغربية بالغات الأجنبية بين سلطة اللغة وسلطة الهوية: فؤاد علي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد80، دس.

2. الأدب الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية1925-1975): محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2006م.

3. الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير: نور سليمان، دار العلم للملايين، ط1، بيروت- لبنان، 1981م.

4. الأدب المكتوب باللغة الفرنسية: محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتب، دط، 1996م.

5. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي، دط، دب، ج2، دس.

6. أعيان البيان من صبح القرن3 إلى اليوم: حسن السندوبي، المطبعة الجمالية، بحار الروم، ط1، مصر، 1332هـ-1914م.

7. أغاني النسيان: آسيا جبار، تر:عبد الباقي هرزشي، مجلة ثقافة، العدد1، 1993م

8. الاغتراب و التطرف نحو العنف: محمد حضر عبد المختار، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة- مصر،دط،دس.

9. الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الانسان بين الحلم والواقع): حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006م.

10. الاغتراب في حياة الشاعر مبارك بن جلواح: جاب الله أحمد، مجلة المخبر، العدد1، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2004م.

11. الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، فريد أمعضشو، الطبعة الأولى، 1436هـ، 2015م.

12. الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي: محمد الهادي بوطارن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، دط، دس

13. الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية: أميرة علي عبد الله الزهراني، جامعة الملك سعود –كلية الآداب، المملكة العربية السعودية، 2005م.

14. تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، ج1، 1998م.

15.تاريخ الجزائر الثقافي : أبو القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 1998م.

16.تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج8، 1998م.

17.تاريخ الأدب الجزائري، محمد طمار، دط،وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

18.تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس): عمر فروخ، دار العلم للملاين، ط2،بيروت-لبنان، ج4، 1984م

19.تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور: متقدم الجابري، مجلة الأثر، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد4، مايو 2005م.

20.التلقي الروسي للأدب الجزائري: عبد العزيز بوباكير، مجلة اللغة والأدب ، العدد10، 1417هـ-1996م.

21.ثورة أول نوفمبر1954:أحسن بومالي،مجلة المصادر، العدد10، الجزائر،2004م.

22.الجزائر أرض القمم الثلجية والشمس المشرقة: الرئيس هواري بومدين، الموقف العربي، العدد1، القاهرة ،1397هـ-1977م.

23.الخوف من الحرية:إيريك فروم، ت مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، تشرين الثاني 1972م.

24.دراسات في الأدب الجزائري الحديث :أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، ط5، 2007م.

25.دراسات في الشعر العربي الحديث: عبد الله الركيبي، تقديم: صالح جودت، كتب ثقافية، دط، دس.

26.ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري:1807م-1883م، جمع وتحقيق: العربي دحو، ثالة ، ط3، الجزائر، 2007م.

27.ديوان الشقاء في خطر: مالك حداد، تر:ملك أبيض العيسى، راجعه: سليمان العيسى، ط1، مكتبة الشرق، حلب، 1961م.

28.ديوان الشهيد ربيع بوشامة: جمع وتقديم: جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2010م.

29.ديوان محمد بلقاسم خمار: محمد بلقاسم خمار، أطفالنا للنشر والتوزيع، دط، مجلد2، الجزائر، دس.

30.ديوان محمد العيد آل خليفة: محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، مليلة – الجزائر، 2010م.

31.سيكولوجية الاغتراب: خليفة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003.

32. سأهبك غزالة: مالك حداد، تر:صالح القرامدي، دط، الدار التونيسة للنشر، 1986م.

33. الشاعر الجزائري جان عمروش، يوغرطة الخالد: كريمة الإبراهيمي، عود الند، الجزائر

34. شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر، ط5، 2014م، 2/ 121.

35. الشعر الجزائري: صالح خرفي ، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، دت.

36. الشعر الجزائري باللغة الفرنسية بعد 8ماي 1945:محمد الأخضر معقال، مجلة الثقافة، العدد1، الجزائر،1993م.

37. الشعر في مواجهة المستعمر: كفاح جرار، دط، سارة للنشر، درارية، دس.

38. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ابو العباس الغبريني، تح عادل نويهض، ط2، دار الافاق، بيروت، ابريل 1979م.

39. الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945-1962):عمر بوقرورة، منشورات جامعة باتنة، دط،دس.

40. القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق مكتبة التراث، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة [1] الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م.

41. كاتب ياسين: الجد المسافر، مجلة شعر، العدد22، 1962م.

42. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبي البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، 1418هـ-1997م.

43. لسان العرب: لابن منظور، تحقيق عبد الله العلايلي، ويوسف الخياط، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، د ط، ج4.

44. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار العين، بيروت، لبنان، دط، دس.

45. مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر: محمد طمار، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2005م.

46. المعجم الفلسفي: إبراهيم مدكور، عالم الكتب، بيروت، دط، دس.

47. المعجم الفلسفي: مصطفى حسيبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، ط1، 2009م.

48. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ- 2008م.

49. معجم مصطلحات التصوف الإسلامي: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الاهداء ..01 .....

الاهداء ..02 .....

الشكر والعرفان .....

مقدمة .....أ

مدخل: مفاهيمُ الاِغترابَ الرَّوحَيَ و أهمُ ملامحه.....5

1/الإطار المفاهيمي للاغتراب الروحي:.....5

2-أَسبابُ الاِغترابَ: 11

3- مظاهرُ الاِغترابَ:..... 12

الفصل الأول: الاغتراب في الشعر الجزائري. 15

أولا: الاغتراب في الشعر الجزائري المكتوب بالعربية: 16

1/في الشعر الجزائري القديم:..... 16

2/في الشِعْرُ الجَزَائِرَيَ الحَدَيْثَ: 19

3/في الشعر الجزائري المعاصر:..... 24

ثانيا: الاِغترابُ في الشّعرِ الجزائرِي المكتوبَ بالفرنسيةِ: 27

1/مراحلُ نشأَتَه:..... 28

2/مضامينُ الشّعرَ الجزائريَ المكتوبَ بالفرنسيةِ: 30

3/ غربة الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية و اغتراب وأصحابه:..... 34

الفصل الثاني: الاغتراب الرّوحي في ديوانِ " الشّقاء في خطر" ... Erreur ! Signet non défini.

أ-التّعريفُ بالمؤلّفِ مالك حداد(1927-1978م): 36

ب-دراسةٌ وصفيةً لديوانِ «الشقاء في خطر» : 37

د-اغتراب الشاعر من خلال الألفاظ الأكثر استعمالا: 63

خاتمة: 66

قائمة المصادر والمراجع 69

فهرس الموضوعات .....